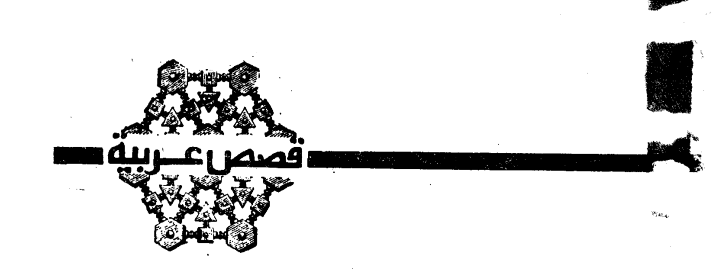
عينان زرقاوان

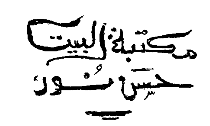
قصص قصيرة

حسن نور



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥





عينان زرقاوان

الاهداء

الى محاسن جابر أعظم زوجه واحن أم

الى جليله وأحمد واســلام

هذه الحكاية القصيرة

جاء رجل الى المدينة الكبيرة فقضى أيامه يبحث عن قلبها ٠٠ لم يجده ، فانصرف يبحث عن قمرها ٠٠ لم يجده ، فراح يتطلع الى الشـفاه عله يلتقط ولو بسمة يهتدى بضـيائها فى طرقها الطويلة المظلمة ٠٠ تعب فأدرك فى النهـاية أنه سـرق من أحبـائه كل الليـالى المقمرة ، فعاد اليهم راجيـا الصفح ٠

ما رأيكم ٠٠ دام فضلكم ٠٠ ؟

المحـور الأول

الآتـى مـن بعيـد

كان الوجه برونزيا شـامخا ·· الطول بلغ الجبـال لكنـه متواضع الخطو · تقطعت منى الأنفاس وأنا أشد الخطو اليه ·

عند التل توقف ·· اندس بينهم ·

بين وجوههم تقافزت عيناى ·· نفس السمرة ·· الملامح ·· بريق العينين ·· بينهم تدب الحركة ·· الكل يعمل ·· يجرى ·· الأحجار الضخمة تسحب فوق الرمال ·· توضع فى مكانها من التاريخ فى ذلك البناء المعجزة .. بعرقهم ابتلت الرمال فتماسكت الأحجار العملاقة ·

أرسلت الشمس لهيبهـا ·· سلقت الجلود ·· باتت حمراء ··نفرت عروق الأذرع ··مزجت الأصوات الغنـاء ··

هيلا ·· هيلا

الرب يحميكم ·

هيلا ·· هوب ·

يحمى خطـاكم ويباركها ·

هيـلا ··

يا أبناء الاله الأعظم ·

هيلا هوب ·

اعلوا بالبناء للاله ·

هيلا هوب

هوب ·· هوب ·· هيلا هوب ·

(ياه ·· ما كل هذا العشق ·· ؟؟)

كانت الأصوات عميقة ·· انغرست فى الكيان ··

خبطت الكف بـالكف ·· تواءم الايقـاع مع الغنـــاء ·· تمايلت معه الأجســاد ·· من الشــغالة خجلت الشمس ·· وراء غمامة تدارت .. تسربت الأشـــعة من الغمام .. ارتدت رداء برتقاليا .. بنفسجيا .. رماديا ، باتت ، اكثر حنانا .. أخذ الحجر مكانه فوق الحجر ·· البناء بات منسجمــا ·· ارتفع ·· طاول السحاب .. تعالت حيرتى ، تطاول قمته المتربعة فوق الهضبة .

على صفحة وجهى تربعت الدهشة

(رائع هذا البناء .. ولكن على اى أســـس هندســـــية بنوه ·· ؟ وزوايا الميل كيف حددوها ·· ؟ وتوزيع الثقل وتناسب توزيع الأحجار ؟ ومســاقط أشعة الشمس الى وجه الفرعون عندما يسجى فى تابوته الحجرى الذى يتوســط البناء ·· ؟)

حملت حيرتى واتجهت اليهم ، علنى أعرف منهم .. اقتربت .. بكل الخشــوع وقفت لتلتقط أذناى كلمات الرجل البرونزى الوجه ·· تحلقوه ·· رددوا وراءه الكلمــات :

ان قلوبنا تنبض فرحة وقتما تعلو فى قوه

ستكون معجزة نفخر بها ·

ستكون مثل الشمس الساطعة أبدا
والأشعة الذهبية ستنير وجه الاله الأعظم
ياابن الشمس ومعطى الحياة والثبات والرضا
تقبل من رعيتك هذا الجهد المتواضع فى بناء هذه الأسطورة ٠
التى ستفخر بها طيبة أبد الدهر
والتى سيأتيها الناس من كل فج ليقفوا فى خشوع تحت سفحه ٠
يشهدون بعظمتك وعظمة شعبك ٠
وعظمة أرضك ونيلك وشمسك ٠

تفرست الوجوه الغائبة فى حب الرب والأرض ٠٠ وجدت ماكنت أبحث عنه ، ودبت الحركة فى الساقين ٠

❊ ❊ ❊

على الوجوه سقطت أشعتها الواهنة ٠٠ اكتسبت لون الحنطة ٠٠ ارتفعت معاولهم ٠٠ شقت صدر الأرض ٠٠ امتزجت أصواتهم ٠٠ اختلطت بالعرق ٠٠ بتراب الأرض ٠٠ بأشعة الشمس ٠

كل يوم يشقون صدر الأرض ، والتراب يشرب العرق ، وتتعب الأجسام السمراء التى جاءت من كل الأرض ، لكن السواعد أبدا لم تهدأ ، حتى تعانقت مياه البحرين ، والتقطت العينان ميناءى الشمال والجنوب ، وحبات العرق اللؤلؤ يه فوق الجباه ، والأصوات الفتية تناوش الأذنين :

فين الكلام اللى زى الورد والحنه
أرميه سـلام وانقله مواويل تتغنى
على شباب اتقتل فى حب أوطاننـا
شـال السلاح فى يمينه وقال يابلدى
ندرن عليا لا خليكى ولا الجنه (١)

واطلقت البواخر صـفيرهـا ، والأرجـل دبت فوق الأرض الرمليه ، والأرض عطشـى لمـاء النيل ، والنيل بعيد ، والعطش كافر و ·· هب ·

شق الرجال السمر بطن الأرض ·· مسحوا العرق وشـقوا بطن الأرض الشرقانة ، وجرت فيها المياه الحلوة .. ارتوت ، وعروق الرجال العرقانة ارتوت .. والخضرة باتت على امتداد الشوف ..

وملأت الفرحة النفوس فعاودت الغناء :

وان عشت يا مصر لا مشيكى برجليا
أهدى مراكب محبه للسـواحليه (١)

شـدنى الايقـاع ·· وجدتنى أسير تجاههم ·· أقترب ·· تسمرت عينـاى عليه ·· الوجـه البرونزى وبريق العينين والعود السمهرى ·· هل هذا معقول ·· ؟

اقتربت منه .. فى عينيه غرسـت العينين .. صحت : أنت ·· ؟

فرد ذراعيه واحتضن الأرض والماء والخضرة والناس .

* * *

---

(١) من ديوان : موال عثمان التتال لصلاح جاهين .

ست عشرة ساعة والعجلات تحتك بالقضــــبان ، وجدار الرأس ‥ التعب هدنى والصداع ، توقفت العجلات ‥ من الكتف تدلت الحقيبة التى احتوت هدمتى . لكن ماهذه الطرق ‥ ؟

كيف شــقوها وســط الجبال الصــلدة ‥ ؟

فوق الأرض الناعمة تقاطرت خطواتى ‥ تقاطرت علامات الاستفهام فى رأسى ‥ أين الأحواش التى كــانت تتنـــاثر فوق الطريق ‥ ؟ أين المقابر ‥ ؟ الطرق الوعرة التى كنا نسلكها ‥ ؟ والشــلال ‥ هل مــازال بعيدا ‥ ؟ والمينــاء هل مــازال على حاله ‥ ؟ والبواخر التى كــانت تقلنــا الى قرانــا هل مــازالت ترســو عنده ‥ ؟

قال لى أبى ـ بعد أن اطمئن على نجاحى بالمدرسة ـ ستقضى أجازتك فى البلد ‥ رقص قلبى الغض ‥ لفظنــا القطــار ليلا ‥ تحسسنا الخطو الى الميناء ‥ كان هناك « باشرى وأخته كســبانه » اقارب أمى فى انتظارنا ‥ حملوا أمتعتنــا على دوابهم ‥ قالوا لأمى : اقضــوا الليل عندنــا فى دابود والصباح رباح ‥ حلفت أمى برأس أبيها أن هذا من ســابع المســتحيلات ‥ رحنا ننتظر البوســته (الباخرة) ، توسدت فخذ أمى لما هاجمنى النعــاس ، قالت لى : لاتنم فأخوك « عوض » ذهب ليشترى الطعام ‥ بشراسة كانت العتمة تهــاجم الكون ‥ قالت لى : ســوف يشترى ســمكا ، ففنجلت العينين .

الناس السمر يملأون الميناء ، يرســلون عيونهم عبر النهر علهــا تلتقط « الهكســوس » أو « رمسيس » تشق عبابه ‥ بين جوانحهم يربض الحنين لقراهم القابعة هنــاك على ضــفتيه ‥ كلابشـــه وقورته وأبو سنبل والدر وعينبه ،

القلوب يعمرها الأمل ، والألسـنة تلهج بالدعاء لموسـم البلح الآتى بأن يعم خيره الجميع ، ومن أسـوان ينتظرون مجىء التجـار حمر الوجوه ·· سيأخذون البلح ويعطونا النقود ، وخليل يتزوج بتول ، وعشيرة تزف الى أو ش الله · ياه ·· عمر ·· كم مر من السنين ·· ؟ عشرون عاما ·· ؟ ربما اكثر منذ غادرتك يا قريتى ليلحقنى أبى بالأزهر ·

غطينى ياأمى من الصقيع ··

القت فوقى الحرام الصوفى ، فسرى الدفء فى الجسـد ·

وفى الصـباح كانت تصب صوتهـا الدافىء فى أذنى : قم ياولد ·· اشرب الشاى قبل أن يبرد ولكن ·· من هؤلاء الناس ·· ؟

قمت ·· اقتربت منهم ·· نفس الوجوه الحنطيه والأصرار والعرق يمتزج بتراب الأرض ، والأصوات تعلو ·· تختلط ، وراءهم تجرى العينـان ·· تنتشـر الأوناش العملاقه ، تحركها اشـارات الأصـابع المدربه ·· الخوزات الواقيه فوق الرؤوس ·· الرافعات الشـوكية تنقل المواد ·· الجرارات وعربات النقل والوجوه التى حمصـتها أشـعة الشمس ، ودوى أصابع الديناميت تفتت الصخر ، و ·· ايه ·· لا ·· لايمكن تكون أنت ·

❊ ❊ ❊

الأنكسـار احتل صـفحات الوجوه ·· كانت الخدعـة فظيعـة · وتجرعنا المرارة .. سرنا نحصى أصـــابع أقدامنا ، نفكر فى الثأر ·· فى محو العار ··

التقطت أعيننـا زرقة السـماء ، بعد أن رفرف العلم هنـاك فى الضفة الأخرى ··

لكن كيف ·· ؟

كان يوم سبت ، والعمل عندهم حرام ، والدنيا رمضان والناس عندنا صائمون ، ولأن العمل حرام والناس صائمون غطوا في النوم والتحفوا بالخط الأسطورة ، وراحوا يحلمون ·

وقلنا اليوم ، أو بعد شهر أو هذا العام ، وقلنا مرت سحابه ، وكانت ساعة الصفر عندما تبين الخيط الأبيض من الأسود في ذاك السبت ·

ووقف الرجال يسلطون مسدسات المياه على الخط الأسطورة ، وأجتازت الدبابات المانع المائى فوق حصائر الحديد ، والله اكبر تدوى من الحناجر فتميد الأرض تحت أقدامهم ، ويجرى الرجال الى التل يرفعون البيرق فوق الأرض العائدة بعد ست سنوات ·

وهو كان يقف وسط الرجال حول السارى بوجهه الآسر ، لم أتمالك عندما التقطته عيناى .. صحت : أنت .. ؟

التمعت أسنانه البيضاء وهو يهتف : نحن ·

***

لمدة طويلة لم أره .. لم أكف عن البحث عنه ..

مرت سنوات وسنوات ·· رحل الكثير ، وولد الكثير ·· أستعرت حروب وخمدت حروب ·· ذهب حكام وجاء آخرون ·· ظلت أشياء على حالها ·· الفوضى وأكوام القمامة ، وتغيرت أشياء فالجنيه لم يعد جنيها والرغيف بأت صعب المنال ، تكسرت الطرق وكثرت الحفر ، والخضرة لم تعد تكسى الشجر ، وبيرم مات وحداد

وجاهين ، والضـــحكة ماتت فوق الشفاه ، والناس صـــــاروا مع أنفسهم يتحاورون ، ولا حول ولا قوة الا بالله ٠٠

أحســست باليأس يترصد خطوى ٠٠ يريد أن يغافلنى ليدس النصل فى صـــدرى ، غافلته وجريت ٠

طالعنى وجهه من البعيد ٠٠ الفرحة ما كادت تعتلى وجهى حتى ماتت ٠٠ (معقول ؟ ما هذا الشحوب ؟ النظرات الزائغة ٠٠ ؟ القنوط ٠ ؟ الذبــول ؟ ومـــا هذه الأثمـــــال التى لا تكـــاد تغطى هيكلك ٠٠ ؟)

قال والصوت كســاه الحزن : نعم ٠٠ فالأمس ضـــاع منكم واليوم ، والســماء لم تعد زرقـــاء ، والنبت مات لأنكم لم تعيروه اهتماما ، وأعينكم أصـــابها القذى ، وأنتم لم تعودوا أنتم ٠

مارس١٩٨٧

القطـــــار

امتلأت الأرصفة بالمسـافرين ٠٠ بطيئـا ، مملا ، ثقيلا يمر الوقت ٠٠ أشعة الشمس حارقة ، قاسـية ، تنفذ الى الخـلايا ٠٠ تنخر العظام ٠٠ تهد الحيل ٠

تنتشر رائحة العفن من أكوام القمامة الكثيرة المتناثرة حول المحطة ٠٠ تزكم الأنوف ٠٠ يتوالد الذباب ٠٠ يتكاثر ٠٠ ينتشر الطنين ٠٠ يخرق الأذان

يتململ الواقفون ٠٠ القاعدون ٠

تتحرك عقارب السـاعات المعلقة على أسنة الأعمدة المنتشرة فوق الأرصفة ٠٠ تدق ٠٠ تئن ٠٠ تصدع الرؤوس ٠

تتحرك السـيقان المكدودة ٠٠ تروح ٠٠ تجيء ٠٠ تجيء وتروح لتكسر سيف القلق المسلط على النفوس ٠٠ يفترش البعض بلاط الرصيف المتكسـر ٠٠ انبسطت صفحات الجرائد أمام أعين زائغة ٠٠ التقطت أحرفا سوداء ٠٠ سـرعان ما امتزجت ببعضـها وباتت بقعا سوداء ٠٠ بقعا سوداء كثيرة ٠٠ طوت الأيدى الجرائد فتناثرت الأعين لتجوب الفضـاء المحيط بالمحطة ٠٠ صدمتها بنايات عالية ٠٠ واطئة ٠٠ قميئة ٠٠ دهانات الجير ٠٠ الزيت ٠٠ الألوان المتوارية وراء أكوام الأتربة فباتت غبراء كالحة ٠٠ كل الأشـياء صارت غبراء ٠٠ أوراق الأشـجار القليلة المنثورة فى أرجاء المحطة

والعصافير والجدران والأسقف وأردية الناس وحتى وجوههم ·· وجوههم صارت لها نفس السمات ·· مجرد أنوف وشفاه صغيرة لاتبين وأذان كبيرة ·· كبيرة كآذان الفيل ، وأعين خرزية مختبئة وراء التجاعيد ، تجاعيد دقيقة .. طولية وعرضـــية تغطى كل الوجوه .. تجاعيد عجيبة ، ليست من فعل السنين .. تعلو دقات الساعات المخوزقة على اسـنة الأعمدة المرشـــوقة على طول الرصيف .. ثلاث .. أربع .. ست .. ثمان ..

ـ أوف ·· وبعدين ·· ؟

ـ نسـأل ··

ـ نسـألمين ؟

ـ المعـاون ·

ـ تلاقيه ما يعرفش حاجه ·

ـ أهو نسأل وخلاص ·

ـ خليها تيجى من غيرنا ·

* * *

همس واحد لنفسه وهو ينظر الى ســاعة يده : يا اااه ·· سبع ساعات ·· معقول ·· ؟ !

الجوع ينهش الأمعاء ·· يطحنها ·· فوق الأرصفة تقافزت الأعين ·· رجعت خائبة ·

أين الباعة .. ؟ تساءلوا .

نشروا أعينهم مرة أخرى على طول الأرصفة ٠٠ صاح أحدهم : واحد أهه ٠٠ أشاروا اليه ٠٠ جاءهم يحمل سلته ٠٠ سلة كبيرة ابتلعت فى جوفها العميق ما تبقى من سميط ولفائف الجبن القريش المشبعة بالماء وحبات الطعمية ٠٠ حطها أمامهم على أرضية الرصيف ٠

ـ هات سميطه وبيضتين ٠

ـ سميطتين وورقة جبنه ٠

قال : كل حاجه بنص جنيه ٠

ـ السميطه بنص جنيه ٠٠ حرام عليك ٠

قال : اللى مش عاجبه ما يشتريش ٠

قالوا : مش ضرورى ٠٠ نستحمل لغاية مانوصل ٠

حمل سلته ٠٠ أدار ظهره ٠٠ ابتعد ٠٠ تسرب البعض وذهبوا اليه ٠٠مدوا له أيديهم بقطع النقود ٠٠ التقطوا السميط وتواروا فى الظلام ٠

* * *

يوغل الليل فتتراكم الظلمة .. يتراكم القلق فى النفوس .. تلتقط أعينهم رجلا وردى البشـرة ٠٠ منتصبا على باب أحد المكاتب المتراصه بجوار بعضها ٠٠ طويل طويل ٠٠ متكور الكرش ٠٠ يتدثر ببدلة خضراء بازرار صفراء ، فوق عينيه الصغيرتين عدسـات بيضاء باطار ذهبى ، تتراص أعداد من الشـرائط المقصـبة على أطراف كميه .. يتدلى من وجهه المكتنز لغد كبير ، يكاد يغطى رقبته ، حاجة أبهه صحيح .

همس بها البعض وأعينهم معلقة بالوجه الوردى المكتنز واللغد الأحمر ·· انتصر أحدهم على تردده وشد خطوه اليه ·· وقف قبالته ·· شب على رجليه ·· مط رقبته على آخرها لفوق وزعق متسـائلا : هو تأخر قوى كده ليه ·· ؟

بربشت عينا الرجل الأبهه من وراء عدسـاته ·· ارتعشت رأسـه وهو يتفحص سائله ، ثم قال متسـائلا :

ـ نعم ·· ؟

ـ القطر ·· ؟

ـ اشمعنى ·· ؟

ثم قهقه عاليا فاهتز كرشه ، وسـال من وجهه العرق ·

أما راجل هزؤ صحيح ·· همس بها لنفسه ثم راح يخبط كفا بكف ·· انهـار الصرح الشـامخ ، فتقدم خطوتين اليه ·

ـ القطر اتأخر قوى ·

ـ انت شـايف كده ·· ؟

دهش الرجل فاتسعت حدقتا عينيه ، تمتمت شفـتاه ·· غبى ·· بارد ·

ـ اطلاقا ·

ـ بص شـوف الناس اللى ع · المحطة قد ايه ·

ـ هو ده عدد المسـافرين كل يوم ·

ـ بس دا كل القطارات ما جاتش ·

قال الرجل متأففا : دى لوقت ييجى .

ـ امتى يعنى ٠٠ ؟

قال وهو ينظر لساعة يده : حالا ٠

ـ متأكد ؟

ـ ميه فى الميه ٠

ملأته الفرحة ، فأحس أنه يطير ٠٠ جرى الى الآخرين ٠٠ طير اليهم الخبر ، فكادوا يهتفون لصاحب اللغد الأحمر ٠

❊ ❊ ❊

دقت الساعات الكثيرة المنتشرة على طول أرصفة المحطة دقات كثيرة عندما اعتلت العقارب الكبيرة نظيراتها الصغيرة ٠٠ اسودت السماء ٠٠ سافرت الأعين باحثة عن قرص القمر الفضى الذى كان يزينها فى الأيام الخوالى ، ويسكب الضوء على كوكبهم ٠٠ كانت النفوس وقتها صافية ٠٠ منجلية ، فكانت النكات تنطلق من الشفاه والقهقهات ٠٠ خافت الأعين أن تضيع فى اكوام الظلمة فأثرت الرجوع ٠٠ اصطدمت بأضواء الفوانيس الكابية التى كانت تجاهد للنفاذ من خلال الظلمة المتراكمة فوق أرصفة المحطة ٠

بصعوبة يلتقط المسافرون أنفاسهم ٠٠

ـ ايه الرطوبة العاليه دى ٠٠ ؟

ـ والله دى ظاهره غريبة فعلا ٠

ـ دا كان مناخنا معروف انه جاف ٠

ـ هىء ٠٠ كان ٠

ـ أنا باقول ان فيه علاقة اكيدة بين الرطوبة والغلا ٠٠

ها ها ها اااى ..

المسافرون صاروا كما النمل .. غطوا أرضية الأرصفة المتكسره .. كل القطارات لم تأت .. الناس هدها طول الوقوف وملل الانتظار .. افترشوا الأرض .. توسدوا البلاط المخلوع .. أطبقوا الأجفان على الأعين ..

فجأة مزق دوى الصفير الآتى من البعيد قلب الصمت .. الفرحة تقافزت فى الصدور .. تواثب الأمل .. هبوا واقفين .. التقطوا حقائبهم .. يقترب القطار .. يقترب .. ساعات أو بعض يوم ويكون الجميع بين احبتهم ..

اقترب .. مرق مسرعا .. تجاوز الأرصفة .. تتبعه الأعين .. الحيرة .. الحسره .. العجز .. ينطفىء البريق الوليد فى الأعين .. تسقط الرؤوس فوق الصدور ..

يناير ١٩٩٢

المحـور الثـانى

متوالـيــــة

جريت فرحا الى الباب افتحه ، فانا اميز طريقة ضغطه على زر الجرس ·· صر البـاب على غير العـادة صريرا مزعجا ··

أخذنى الى حضـنه ·· ألقى سـؤاله المعتـاد : أمـال فين ماما ·· ؟

جاءت مهروله ، وقفت قبالته وهى تردد : شبيك لبيك ·· ؟
كركع ضـاحكا ·· ناولهـا لفافـة كانت بيمينه قائـلا : ايه رأيكم نتغدى فى البلكونة ؟

قبل أن يغادرنا فى الصـباح قال لأمى : ما تعمليش حاجـة النهاردة لأنى حاجيب معايا سـمك ·

هو يعرف أنى أموت فى أكل السـمك ، قبلته شـاكرا ·· سـألنى : هاه ·· عامل ايه فى المذاكرة ·· ؟ ثم اسـتطرد قبل أن اجيبه على سـؤاله : شـد حيلك يادرش ·· المشـوار قدامك لسه طويل قوى ·

قلت : ربنا يخليك لينا ويطول فى عمرك ·

استشـعرت الخوف فتردد السـؤال فى داخلى : ليه بيقول كده ·· ؟ وشـعرت بضيق ، سـألته أمى وهى ترفع الصـحاف الفارغة وأوراق الجرائد المفروشـة على المنضدة : أجيب لك برتقان ياحاج ؟

قال ضـاحكا : لا ياسـتى ٠٠ السـمك عـاوز يتكيف ٠٠ اعملى شـاى ٠

على ظهر المقعد أسـند ظهره ٠٠ مد سـاقيه على آخرهمـا كعادته عندما ينهمك فى قراءة الصحيفة ٠

جاءت بالشـاى ، قالت وهى تضـع الصينية على المنضدة الصغيرة : الشـاى ياسى عبد الغنى ، وانصرفت ٠

كنت أجلس قبالته ٠٠ تصـاعد بخـار الشـاى ، ملأ فراغ الحجرة ٠٠ تبخر ٠

قلت له : الشـاى يا بابا ٠

أعرف أنه يحبه سـاخنا ٠٠ قال على غير عادته : سـيبه شـويه ٠٠ الصـوت معجون بالنعاس ٠٠ بالكاد تبينت حروفه ٠٠ استرخت ذراعاه ، فسقطت الصحيفة على وجهه ، زعقت منزعجا : مالك يا بابا ؟ بابا ٠٠ ؟

صرخت ملتاعه : مالك ياعبد الغنى ٠٠ مالك ياأخويا ؟

مد نحوها ذراعه ، قال فى وهن : خدينى ع السـرير

تمدد على ظهره ٠٠ وضع باطن كفه على قلبه ٠٠ تأوه فى ألم ٠٠ آه ٠٠ قلبى ٠٠ حلت أمى أزرار جلبابه ، ٠ دعكت صدره ٠٠ تحسـست جبهته ٠٠ أطرافه ٠٠ انتقلت اليها برودتها فسرى فى داخلهـا الخوف ٠٠ صرخت لما رات عينيه لا تطرفان ٠٠ زعقت تنـاديـه ٠٠ عبد الغنى ٠٠ يـا عبد الغنى ٠٠ يـالهوى ، ودقت صـدرها ٠٠ دوت صرخاتها الملتـاعة وهى تلطم خديها ٠٠ شقت

جيوبها ·· أخذتها الى صـدرى قائلا : لا ياماما ·· حرام ·· حرام ·· ونهنهت باكيـا ·· قالت لى من بين دموعها : أجر انده اخواتك

* * *

ألقيت بنفسى فى أول مركبة .. احتويت رأسى بكفى .. تناهى الى صوته ، وصرير الباب الموحش يطن فى أذنى ·· غامت المرائى أمامى فلم أعد أميز بينها ·

ـ باب الشـعريه ·

احتوتنى الحارات الثعبانية ·· ما هذه الزينات التى تغطى واجهة البيت ·· ؟ ارتقيت الدرج ، احتوتنى شـقته الغـارقة فى ضـوء اللمبات الكهربائية الملونة وزغـاريد النسـاء والأصـوات الزاعقـة والصـدور العـارية وأكواب الشـربات وقطع الحلوى والفسـاتين اللامعة و ··· تتقافز عيناى تبحثـان عنه ·· حسين أخى الاكبر ·· أين هو ·· وأين دينـا وأمها ·· ؟ ها هو ذا ·· هنـاك فى أقصى الشـقه ·· جاءنى على اسـتحيـاء ، فى عينى قرأ سـطور الحزن

ـ مالك ·· ؟

ـ أبدا ··

····

ـ ايه اللى فى شـقتك دا يا حسين ؟

ـ دينا بتتجوز ·

ـ ايه ·· ؟

ـ لا ٠٠ دا بس ربط كلام ٠٠ قراية فاتحه ٠

فى بطء رحت أهز رأسى ٠٠ سألنى ثانية : قوللى فيه ايه ٠٠ ؟

ـ ابوك ٠٠ تعيش انت ٠

صرخ : أبويا ٠٠ ؟ وأنشج باكيا ٠

قلت وأنا أنزل ٠ الحق روح لأمك ، وأنا رايح أقول لحسن ٠

* * *

صعدت الدرج الرطب ٠٠ قبضت يمناى على الدرابزين ٠٠ تتحسس قدماى مواضعهما ٠٠ تسرب شعاع من باب شقته الموارب .. بدد جزء من عتمة الدرج ..

يا ساتر ٠٠

ثلاث أو أربع نساء لا أعرفهن ٠٠ يرحن فى حركة دائبة ويجئن ٠٠ أما هو فقد كان متقرفصا على الكنبة القديمة فى الصالة ، مكتسيا بالقلق والتوتر ٠٠ الوجه شاحب والعينان ملئتا بالخوف ٠٠ أطل وجه عمتى ـ حماته ـ من وراء باب حجرة النوم غارقا فى العرق والقلق ، زعقت : الميه السخنه قوام ٠

سألته : فيه ايه ٠٠ ؟

قال : مراتى بتولد ٠٠

(ايه ٠٠ هل مرت تسعة شهور على زواجه ٠٠ يا أاه ٠٠ الأيام سريعة كالصواريخ ، ومع ذلك نتعجلها ، غير عابئين بما يتساقط من أوراق أعمارنا ،)

قلت ســاهما : اه ٠

نظر الى مندهشـا ٠٠ ســألنى : مالك يا درش ؟

أنفتح البـاب المغلق ٠٠ التقطت اذاننـا صراخه ٠٠ واء ٠٠ واء ٠٠

جاءتنا تسبقها فرحتها ٠٠ مبروك ياحسن ، جالك ولد ٠٠

جرى الى الحجرة ٠٠ أخذه بين ذراعيه ٠٠ قبله وهو يردد فرحا : الله ٠٠ ما شـاء الله ٠٠ حلو قوى يا مصطفى ٠٠ تعـالى شـوف ابن أخوك ٠

غلبتنى دموعى ٠٠ تسـاقطت من عينى ، وسـد الوليد بجوار أمه وجاءنى ، صرخ متسـائلا : قوللى فيه ايه ٠٠ ؟

سألته عمتى من داخل الحجرة : حتسـموه ايه ٠٠

قلت له : البقيه فى حيـاتك ٠٠ ابوك ما ٠٠٠

صرخ باكيـا ٠٠ جاءتنـا عمتنـا ٠٠ شلتهـا المفـاجاه ٠٠ ولولت : يا حبيبى يا أخويا ، وأخذتنا الى صدرها ٠

يونيو ١٩٩٣

ثنائيــة الفــرح والبــكاء

صرخت ٠٠ يووه

كانت ممددة على ظهرها غارقة فى عرقهـــــا ، بينما كانت أصابعها تكلبش فى أعمدة السـرير ٠٠ آلام الطلق تنهش بطنهـا فتتلوى وتصـرخ ٠

أحست أمها بقلبهـا يأكلهـا فتوجهت الى الخـالق ببعض الدعوات ٠٠

آآآه ٠٠ صـرخت البنت ثانية ورفسـت بساقيهـا من تحت الغطـاء ٠٠

قالت لها : احزقى ، وجست بطنهـا ، ثم جرت الى الخارج وجاءت بطست وماء سـاخن ٠٠ جلسـت بين فخذيها ٠٠ أطلت رأسه الصغيرة بشعيراتها الهشة .

بيد مدربه سحبته ٠٠ خرج من مكمنـه المظلم الضـيق الى الدنيا الواسـعة ٠٠ استقبلها صـارخا ٠٠ باكيا ٠٠ كان الصوت طريا حادا ٠٠ لفته جدته بقطع القماش البيضاء المطرزة التى أعدتها لهذه المناسبة وأطلقت زغرودة ٠٠ زغرودة طويلة لعوب ، التحمت بها زغاريد الجارات .. ملأت سـمـاء الحارة ، جئن زرافات ووحدانا ليشـاركن أهله فرحتهم بمقدمه ٠٠ التفغن حول الوالده ٠

ــ ألف حمد الله على سـلامتك ٠

ــ مبروك يا حبيبتى ٠

ــ اللهم صلى على كامل النور ٠

قالتها احداهن وهى تأخذ المولود بين يديهـا ٠٠ اتسـعت حدقات أعينهن وهن يتطلعن الى وجهه ٠٠ أكبرن جماله ٠٠ قلن :

ــ الله ما أجمله ٠

ــ أصول يسموه يوسـف ٠

وتتضاحكن .. ثم قالت واحدة : أكبر بسرعة لأزوجك ابنتى . لن أغالى فى المهر ٠٠ هاه ٠٠ ما رأيك ٠٠ ؟

أخذه أبوه بين ذراعيه ٠٠ ضمه الى صدره ٠٠ مست شفتاه خده الطرى ، قال : اتفقت وأمه أن نسـميه خالدا ٠

قلن : عاشت الأسـامى ٠

واطلقن زغاريد طويلة ، ورشفن أكواب الشـربات الفاقعة الحمرة وانصرفن ٠

❊ ❊ ❊

بعد اسبوع من ولادته امتلأت الدار بالصبية والنسـاء ٠٠ جاءوا بغربال ٠٠ غطوا ثقوبه بقماشـة بيضـاء ٠٠ أرقدوه فوقها على ظهره ٠٠ هزته واحده بشـدة ٠٠ دقت أخرى الهون فأصـدر رنينا أجوف ٠٠

سرسع الصبية : سموا المولود ٠

سرسعت البنات : سعد الله ·

ردت الصبية : وعيونه الســود ·

قالت الصبيات : سعد الله ·

ولما هدأ الصبية قليلا ، قالت العجوز التى تدق الهون : أسمع كلام أمك ، واسمع كلام أبوك ··

رفس المولود الهواء بسـاقيه الصغيرتين وصرخ باكيـا ·· ضحك أبوه حتى اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول : لقد جعلتيه يحتج من الآن ·· وزعت الوالدة على الحـاضـرين علب الفول السودانى والملبس والحمص ، وسبع حبـات فول مندأة معقودة فى خيط أبيض رفيع ·· وفى المســاء أصـرت أن تعقد لوليدهـا خرزة زرقاء فى مقدمة شـعره ·· انزلقت وحطت على جبهته ·· قالت وهى تنظر الى عينيه : لتمنع عنك عيون النســاء المستديرة اللاتى رأينك ولم يصلين على النبى ·

* * *

تنبه الجيران على صراخ ملتاع ·· مجنون : يوووه

ضربت خديها اللذين شـقتهما أنهار الدموع ·· تمور الآلام داخلها ··يغلى صدرها ·· ينطق صراخا ممرورا ·· ياحبيبى ·· يا ضنايا ·· تفزعت النسوة القابعات فى البيوت ·· تطيرن ·· استعذن بالله من الشيطان الرجيم ·· تسربلن بالســواد وجرين متســائلات عن الخبر ··

ــ خالد مات ·

مزق الخبر صدورهن .. صـــــرخت واحدة : ياعين أمك يا ضنايا ٠٠ بينما كان أبوه فى الداخل ينهنه وهو يرنو الى وجهه ليملأ عينيه من براءته ٠٠ التقطت عينـاه بسـمة رائقة تنام فوق شفتيه فأسـرع يمسـح دموعا من فوق خديه ٠٠

تراءت له صورته يوم ولادته ٠٠ بكاءه وصراخه لحظة خروجه من مكمنه الضيق المظلم ٠٠ رجليه الصـغيرتين وهما يرفسـان شيئا لم يتبين كنهه ٠٠ هز رأسه فى أسى ٠٠ حمله بين ذراعيه ٠٠ ولولت أمه وهو يخطو به خارجا .

قالوا لها : حرام عليك ٠٠

ــ شفيعك فى الجنة .

ــ ربنا يعوض عليكى ٠

كان الجو رطبا ، وثار الهواء سخيا فى غير عنف ٠٠ نتف السحب البيضاء غطت على زرقة السـماء ٠٠ تسـاقطت قطرات ماء رائقة فبللت أوراق الشجر ٠٠ استعادت خضرتها ٠٠ اغتسـل أسفلت الطرقات ، صار أسود لامعا ٠٠ همد الغبار النـاعم فلم يثر لما داسته الأقدام ٠٠

تراءت له من البعيد شـواهد القبور الجهمة ٠٠ ضمه الى صدره ٠٠ كاد يهرصه وهو ينثر قبلاته فوق القماشـة البيضـاء التى غطت جسده الطرى الغض ٠

١٢ / ١١ / ٩٢

المحــور الثــالث

والعيـــــال

سنوات طويلة وأنا بعيد عن البلدة ·· استبد بى الشوق الى ناسها ودورها ودروبهـا · فوجدتنى أسـافر اليهـا ·· استحث القطار أن يسـرع لأسبرغور لهفتى ·· لم أكد أضـع قدمى على رصيف المحطه حتى وجدتـه أمـامى متقرفصـا وراء بضـاعته الرخيصه ·· الوجه أصفر كما الليمون ، والعينان ندبتان فى الوجه المرور ·· أغوص فى تلافيف رأسى ، أجده كامنا فى ركن منها ·· عمار ·· رفيق الدراسه فى المدرسه الابتدائيه ·· يا اااه ·· ماذا أصابه ·· لماذا صار هكذا ، مجرد هيكل آدمى ·· ؟ !

– ايه ياأفندى ·· بتبص لى كده ليه ؟

– انت عمار ؟

أيوه ·

– مش فاكرنى ؟

نظر الى مليا ، ثم هب واقفا وأخذنى الى حضنه وهو يهتف قائلا : أزيك يا عبد الباقى .. اخص عليك .. كل المدة دى تغيبها عننا ·· ؟ !

– وانت ما كملتش دراسه ؟

قال فى أسى : أصل أبويا مات ·

ـ لكن انت خاســس قوى كده ليه ياعمار يااخويا ·· انت عيــان ؟

ـ آه ·· عندى بلهارســيا و ···

ـ طيب ما تتعالج ·

ـ أوووه ·

ثم دس يده فى جيبه وأخرجهــا تقبض على ورقة متــآكلة الأطراف ·· مكرمشة ·· مدها نحوى قائلا : الدكتور قال لى أنا كاتب لك كل حــاجه هنــا فى الورقة دى ·· تقــافزت عيناى فوق حروفها ··

الاسم : عمار ·· فلاح ·· أجير ·· الدخل الشهرى : غير مضمون ·· المستوى الاجتمــاعى : تحت تحت خط الفقر ·· عدد الأولاد ·· كثيرون ·· التشخيص : بالكشف الطبى عليــه وعمل التحاليل اللازمة له اتضح أنه مصــاب بالبلهارسيا والانكلستوما والتهاب فى المفاصل ، وانسداد فى الحالب وفشل فى الطحال و ··

نظرت اليــه فى فزع ، وانطلق لســانى يتســاءل : وليــه ما تدخلش مستشفى ·· ؟

قال وكأنه يحمل الدنيا كلها فوق رأسه : والعيــال ؟؟

٢٧ نوفمبر ٩٣

لا مفــــر

من رقاده هب قاعدا على عجزه ، لما التقطت أذناه صوت المؤذن يعلن عن مجيء الفجر ٠

مركبات كثيرة آتية الى الميدان من كل اتجاه ٠٠ صغيرة ٠٠ كبيرة ، مسرعة ، مارقه ، زاعقه ، تزفر فى غضب دخانها ٠٠ دخان أبيض ٠٠ أسود ٠٠ رمادى ٠٠ تزعق آلاتها المنبهة ٠٠ بيب بيييب ٠

فركت أصابعه عينيه ٠٠ تثاءب ٠٠ تمطى ٠٠ هب واقفا ٠٠ التقط بدلته الصوف السوداء ٠٠ كفن بها جسده ، قبل أن يغسل عن وجهه آثار النوم ٠٠ الى الطريق هرول ٠٠ جرى ليأخذ مكانه هناك وسط الميدان الصاخب ٠٠ تخب قدماه فى حذائه الأسود الضخم ذى الرقبة العالية ٠٠ يلتصق قماش بدلته السميك بجسده .. تغرس وبرها الابرى الحاد فى جلده .. ينز مسامه عرقا زاعقا ٠ شهور الشتاء القصيرة الباردة ولت مدبرة لما هاجمتها حرارة الصيف فى عنف ، لكن الحكومة لا تعترف بحرارة الشمس ، ولا بالتغيرات التى طرأت على قاعدة حار جاف صيفا ، ولا حتى بما حدث لطبقة الأوزون ٠٠

افتح اشارة رمسيس ٠٠ الطريق أمامك خال ٠

تأتيه أصوات كثيرة آمرة .. ناهية .. قاطعة .. باترة ، من الجهاز الساكن فى قبضته ٠

اقفل عماد الدين ·· افتح الجمهورية ··

تنزاح أكوام السنمة شيئا فشيئا .. تزداد اعداد المركبات الرائحة ، الغادية ·· تضيق بينها المسافات ·· تنعدم ·· تلتحم ·· تزحف ·· تتوقف ·· تتحطم الأعصــاب ·· تشيط ·· تحترق ·· تحترق فتضـغط الأكف على آلات التنبيه .. تتعالى .. تصرخ .. بييب بييب ·

تفتح لها الاشــاره ·· تصرخ دواليبها ·· تزفر دخانها ·· يتصــاعد ·· يغلف الفضــاء ·· يتســرب الى قفص الصدر ·

يصرخ ·· آآخ ··

تضيع الآهه فى الزحام ·· بين أكوام المركبات ··
رأسه تدور ·· تدور ·· تدور المرائى ·· يذهب ســواد عينيه كل فى اتجاه ·

افتح الاشــاره ياحيوان ·

ينعل سنسفيل ابو ··

تطول أذناه ·· تطول وتتسع ، تلتقطان سباب الســائقين ·· يتغابى .. تتوقف المركبات تماما فى الاتجاه المقابل رغم الاشارة الخضراء ·· تتلاصق ·· تزعق الآتها ·· أرســل عينيه ·· التقطتا حمارا ناء بحمله فتوقف تماما ·· تسمرت أقدامه بالأرض ·

سب الحمار والحمار والشيطان ويوم ولدته أمه واليوم الذى ساقته فيه قدماه الى ادارة المرور ··· يسيل عرقه غزيرا ·· ينسال من رأســه الى وجهه ·· الى عينيه ·· أفرزت دمعــا ·· اختلط بالعرق ، تسرب الى مســامه ·· باتت كابرتنغرس فى جلده ·

ســوط الحوذى الحمــار بســوطه ·· فى غيظ ركله بأقدامه ·· ضربه بعصا غليظة وهو يجأر : حا يا ابن الكلب ·

ضاقت الدنيا عليه ، أحس أنه يريد أن يبكى ·· مسح بباطن كفه على رقبة الحمــار ·· قبله وهو يهذى بكلمات لم نتبينهــا · ازداد شريط المركبات طولا ·· تهدر الات التنبيه ·· بيبب بيبيب ·

غادر الســائقون مركباتهم ·· جروا الى الحمار ·· جرى معهم ·· أمسكوا مقوده ·· شدوه ·· دفعوا العربة من الخلف ·

شى يا ابن الكلب ··

لكنه أبدا لم يتزحزح ·· ضربوه ، ركلوه ، كالوا له السباب ، وهو واقف ·· صلب ·· عنيد ·· ســاكن العينين·

شى يا غبى ··

فقط يحرك اذنيه الطويلتين ليهش ذبابة عنيدة ضايقته ..

❋ ❋ ❋

بات قرص الشمس واهيا ·· مــالت نحو الغرب ·· كادت تخبو ·· أحس بوخز فى ســاقيه ·· انحنى يدلكهما ·· اصطدمت أصابعه بعروق نافرة ·· وقع قلبه ·· غامت الدنيــا ·· اســتند الى احد الأعمدة المعدنية .. انحنى يطل على ســاقيه .. أطلت عليه أنابيب رفيعه زرقاء ، تتخللها شــعيرات دمويه ··

أن يصرخ ·· أن ينوح ·· أن يبكى نفسه أراد ·

ــ ســلام ياوحش ·

من بحر شـعوره المظلم انتشـله صـوته ٠٠ تمتمت شـفتاه بالفـاظ لم يتبين معنـاها ٠٠ ناوله الجهـاز صـامتا ٠٠

ـ شد حيلك ٠

هز رأسـه ٠٠ جرجر سـاقيه المتورمتين ٠٠ دارت عينـاه فى محجريهما ، تتسولان سيارة تحمل جثته الى داره ٠

ها هى ٠

اقترب منها ٠٠ سـائقها غاف وراء عجلة القيادة ٠

ـ مسـاء الخير ٠

انتبه السـائق من غفوته ٠٠ اصطدمت عيناه بالوجه الحنطى المكدود ، بالبدلة السـوداء الكالحـة ، زكمت أنفه رائحـة عرقه الزاعق ٠

ـ نعم ٠

قالهـا بقرف وأغمض عينيه

ـ بولاق الـ ٠٠٠

ـ آسف ٠٠ العربه تعمل منذ الصـباح ، والموتور يحتـاج لراحه ٠

ـ الموتور يحتاج لـ ٠٠٠

وانفرجت شـفتاه ٠٠ انبسطت عضلات وجهه ٠٠ اتسع انفراج شفتيه ، كركع ضـاحكا ٠٠ قهقه عاليا وكفه تضرب كفه الأخرى وهو يردد الموتور يرتاح ٠٠ !! لكنه فجـأة توقف عن الضـحك ، وسكن جسده تمـاما ٠٠ لاذ الى الصمت ، ثم راح ينشج بالبكاء ، وسحت الدموع غزيرة من عينيه ٠

ابصر طوارا ·· زحف اليه ·· تقرفص ·· لم يستطع ان يوقف نزيف الدمع ·· شعر بالخجل فدفن وجهه فى كفيه ··

يمر الوقت ·· تزحف العتمة ·· أحس برعشـــة خوف تسرى فى كيانه ·· همس لنفسه ·· لابد أن أمشى لأجىء غدا فى ميعادى تماما ·· كل يوم أجىء فى ميعادى تماما ·· كل يوم ·

زحفت يده الى جدار ·· كلبشــت فيه أصابعه ·· قام ·

١٠ / ٢ / ٩١

الجـــدران

قالت وهى ترفع كفيها الى السماء : روح يا ابنى .. ربنا معاك ، يسدد خطاك ، ويوقف لك ولاد الحلال ٠

جريت الى الدرج المتآكل الأطراف ٠٠ ضمتنى جدرانه الرطبه المتساقطه ، وظلمة بئره ٠٠٠ فى الحوش افترشت أشعة الشمس بلاطاته المربعة الكبيرة ، القديمة ، فرحت بها ورحت أرنو اليها لأملأ منها عينى ٠٠ صدمنى تهرؤ النعلين والجزء الصغير من ظفر ابهامى المطل من شق فى الجلد المقدد ٠٠ نحلتهما شوارع المدينة لما لفيتها جريا وراء اعلانات الوظائف الخالية ٠

فى كل مرة كنت اجلس أمام ياقات منشاة وأعين زجاجية ، و ٠٠ سين وجيم ٠٠ سين وجيم ٠٠

تجرى الاجابات سهلة على لسانى فأكاد أطير فرحا ، وتمتلىء نفسى أملا بقرب الفرج ٠٠ دقائق معدودة لأسمع الكلمة التى سأطير بها فرحا الى أمى وألقى اليها البشرى ٠٠ فرجت يا وش السعد ، وقبل أن ينطلق لسانها مزغردا ٠٠٠ تخرسها كلماتهم الحادة القاطعة : شكرا .. .. حنبعت لك لو احتجنالك .

أجرجر خطوى عاقدا ذراعى وراء ظهرى ، غارسا عينى فى تراب الطريق ٠

(اعلانات كاذبة ، مخادعة . لبذر آمال هشـــة ، تعصف ببراعمها الرياح فتذرها قاعا صـــــفصفا .. لن أقرأها بعد اليوم ولن أتعب قدمى بالجرى وراء الوهم) .

لكن يبدو أن قرارى الذى اتخذته هو الوهم بعينه ، فمـا أكاد أســمع صوت بائع الصـحف حتى أخطف منه الصـحيفة وأقلب صفحاتها بأصـابع متوتره ، وتجرى عيناى بين أسـطر الاعلانات الضـيقة ، ثم أسـابق الريح الى العنوان المنشور ، لأخوض مرة أخرى غمار الوهم ، ويدق قلبى مضطربا .. ســـنوات طويلة ، ثقيلة فى انتظار النطق بالحكم ، تتعلق عيناى بالشـفاه الحـادة المغلقة ، تجرى وراء احداها عندما تراها تتحرك .. اصـطدمت بطبلة الأذن فأطاحت بفلول الآمال المعاندة ..

شكرا .. سنر ..

كلاب .. كلاب ..

وأقرر مرة أخرى ألا أشترى أى صحيفه ، فأنا أحق بثمنها ، لكن ما أن يجىء الصبح حتى أحس بالأمل يراودنى .. يحاصرنى ، فآخذ الصحيفة ، وأغرق مرة ثانية فى بحور الأمل ، لكن سرعان ما أطفو فوق سطح الحقيقة عندما تواجهنى الأعين الزجاجية ، والياقات المنشـاة والكلمة الدانة التى تفترس الأمل الوليد ..

رجعت من وسط الطريق متمهلا .. ما أن خطوت خطوتين حتى وجدته يقف قبالتى صـائحا فى فرح : حسين .. لم يمهلنى .. أخذنى الى حضنه .. انغرس شعر ذقنه الابرى القصير فى وجهى .

أنبش فى رأسى باحثـا عنه .. من .. ؟ معقول أن يكون هو .. حسن البدرى ؟ ! سبحان الله .. ماذا حدث له .. ؟ كان

اكثرنا حرصا على مظهره ، وتناسق ألوان ملابسه ، على الرغم من بساطتها ٠٠ أغرس فى وجهه عينى باحثا عن صديق زاملته سنوات أربع مازالت محفورة فى كيانى ٠٠ لم نفترق خلالها الا للنوم ٠٠ هالنى الحزن الراقد فى عينيه ، والآهه التى لم ينطقها ٠

ـ ايه ٠٠ مالك يا ابو على ؟

ـ أبدا ٠

خرجت الكلمة من بين شفتيه مغموسة بكل الآم الدنيا ، فأحسست بحاجتى للبكاء ٠

(عرفته ونحن على أبواب الجامعة ٠٠ كنا صغارا ، وكان الأمل يرتع فى عينيه ، أقول له ذلك ، فيقول ضاحكا : ماحلتيش غيره ٠

كان أول الدفعة على مدى السنوات الأربع ٠٠ أطلقنا عليه لقب شيخ المعيدين فى السنة الثالثة ، لكننى لم أنس أبدا يوم أن قرر عدم استكمال دراسته عقب آخر يوم فى امتحان هذه السنة ٠٠ كان صعبا للغايه ، فحزم أمتعته وسافر الى قريته ، بعد أن أوصانى بألا أبلغه بالنتيجه اذا كانت أقل من جيد جدا ٠

قلت له : بس قرارك دا غلط ٠

قال : لو عرفت السبب حتعذرنى ٠

قلت له : أيا كان السبب ٠

قال : حتى لو عرفت ان أنا وأمى عايشين على مبلغ مكافأة التفوق

سـألته : وأبوك ٠٠ ؟

قال : كان منشـد ، بيلف الموالد ، وكان بيغيب عننـا بالأيام والشـــهور ، ولما يرجع يفضى كل اللى فى جيبه لأمى .. يقعد بيننا يوم أو اتنين ، قبل ما يجرى تانى ورا مولد جديد ، ولما زباين الموالد قلت ، وقلت سميعة الموال قل كسبه .. زعل .. برى فى البيت ٠٠ ما استحملش الصدمة ٠٠ مات

لم أجد شـيئا أقوله ، فقد كنت فى ذهول ٠٠ طـالب طموح يعيش هو وأمه بثمان جنيهـات ٠٠ يرسـل لهـا ثلاثـا ، ويعيش فى المدينة بخمس ٠٠ يأكل منهـا ويلبس ويشـترى كتبـا ويدفع ايجـار حجرة فى شـقة مشـتركة ومواصـلات و ٠٠ الأهم من كل هذا الاصرار على التفوق ٠٠

قلت أخيرا لمـا انحلت عقدة لســانى : انت انسـان عظيم يا حسن ٠٠ بس حكاية عدم استمرارك فى الدراسـة لو ما نجحتش بجيد جدا مش مقنعة .. ممكن تشتغل و .. قاطعنى قائلا : التفوق وسيلة عشان أحقق ذاتى .. وأشتغل فى سلك التدريس وأضمن مستقبل كويس .

ثم نظر الى سـاعته وحمل حقيبته ، ٠ وتركنى لقلق انتظار نتيجته ٠٠ أدركت أن حبه متغلغل فى قلبى لمـا كدت أطير فرحـا بعد أن قرأت اسمه منفردا بكشف النـاجحين بالتقدير الذى أراده ٠

قلت له : أبدا ايه ٠٠ ؟ مش انت حسن البدرى الطموح ٠٠ القوى اللى أنا عرفته ٠ مط شـفته السـفلى وقلـب كفيـه وحرك كتفيه ٠

سـألته : انت ما تعينتش معيد ·· ؟

ضحك حتى دمعت عيناه بغزارة ، ثم قال : لأ ·

سألته ثانية : ليه ·· ؟

قال : اسألهم ·

سـألته ثالثه : طيب عينوا مين ·· ؟

قال : تيسير بركات ، وأسـامه صدقى ·

صحت فى دهشة : ايه ·· مين ·· ؟ !!

وقبل أن أفيق من دهشـتى سـألنى : معـاك فلوس ·· أنا محتاج خمسه جنيه ضرورى ·

غرقت فى عرقى وخجلى ·· رسم ابتسـامة على وجهه وشـد على يدى قائلا : ولا يهمك ، وتبعثرت خطواته ·· تبعته عيناى حتى أكلته الطرقات ، ورجعت الى نفسى ، ألملم أشـلائى ·

❊ ❊ ❊

ما أن دخلت الحجرة حتى ألقيت بجسدى على السرير ·· سريرنا الكبير القديم ، ذات القوائم الأربع الطويله السـوداء ·· تسـاقط طـلاؤه فى أجزاء متفرقة من هيكلـه المهول ، فخلف نقرا وحفرا مكانها ، تقف عرائس أربع على رؤوس القوائم كعسـاكر حراسة ، رأيتها صفراء متلألئة ، تبعث بريقا حلوا فى سـنواتى الأولى ، أصبحت ترابية كالحة ·· أبعدت عنها عينى فاصطدمتا بشقوق الجدران الطولية والعرضـية .. امتدت الطولية لأعلى فتلاقت مع خشـب المراين الممدد تحت السقف ، والعرضية حتى تلاقت

أطرافها ٠٠ حاصرتنى دوائرها ٠٠ أحســست بأنها تضيق وتضيق ، وأن البناء يميل ٠٠ يا ســاتر ٠٠ يا ســاتر ٠٠ هل يمكن أن يحدث ذلك ٠٠ ؟

كل شيء جايز ٠

واذا حصل حنروح فين ٠٠ ؟

ألح أبى قبل رحيله الأبدى على صــاحب البنايه بعد أن أطلعه على الشقوق اياهــا على ترميم البيت ٠

– ياحاج البيت هيقع ٠

– ياريت ٠

– حرام عليك ٠

– ليه ٠٠ ؟

– أرواح الناس ٠

– وروحى أنا ٠٠ ؟

– روحك ٠٠ ؟

– اللى نهشتوها من زمان ٠٠ دا انتو ســاكنين بملاليم ٠

همسأبى لنفسه : ما فيش فايده ٠٠ دا صــاحب بيت ومش حتطلع معاه بنتيجة ، ثم قال : فوضت أمرى لله ٠

– وهوه يرضى ربنا برضه الملاليم اللى بتدفعوها ايجــار ؟

– القانون يا حاج ٠

– اذا كان القــانون أعمى لازم يكون عندكم نظر ٠

تأكد أبى من عدم جـدوى مناقشـته ، فشـد خطـاه الى المحافظة .. قالوا تقدم طلب على عرضحال .. بعد اسبوع جاء مهندس لمعاينة البيت ، رأى الشـقوق الطولية والعرضية فانزعج ·· لما انزعج قال : لابد من التنكيس ·· اشـار له أبى الى شقة صاحب البيت .. بعد قليل خرج مقهقها وهو يردد : لا اطمئن يا حاج .. بيتك متين ويعيش كمان متين سـنة ·

❊ ❊ ❊

قالت أمى وهى توقظنى : قوم بقى يا ابنى ·· دى السـاعة بقت عشرة ·· دا أنت عمرك ما عملتها ·

قلت متثائبا : تفرق ايه عشرة واللا اتناشر ·· ما أنا طـول عمرى باصحى بدرى .. عملت ايه يعنى .. ؟

قالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ·· ايه اللى بتقوله ده ؟

قلت : خلاص يا أمه ·· قرفت ·

قالت : عين أمك يا ضنايا ·· معلش ·· قوم اغسل وشـك عبال ما اعملك الشاى ، واسخن لك شوية ميه وملح تحط فيهم رجليك ·

أحطت كوب الشـاى السـاخن الممزوج باللبن بكفى ·· شفطت البق الأول فلم أحس بلذة طعمه التى عشقتها منذ الصغر ··

وحوحت وأنا أسقط قدمى فى الماء السـاخن ··

قالت وهى تتقرفص بجوارى : والنبى يا ابنى قلبى بيقول لى انها حتفرج قريب ·· ان ما كانش النهارده يبقى بكره

(بكرة ٠٠ طيبة انت يا أمى ٠٠ تظنين أن مشـاكلنا المستعصية يمكن حلها بالنية الصالحه والأمانى الطيبه ، أو بكوب شـاى وقرص أسبرين ، وأن آمالك التى عشتينها منذ أن خطت قدماى الى المدرسة الابتدائية سيحققها الغد المشرق الكريم ٠٠ مازلت تعيشين النقاء فى الزمن النتن ٠

قلت لها : يا أمى النهاردة زى امبـارح ٠٠ زى بكره ، زى بعده ٠

قالت متأففه : يا ابنى قول ان شـا الله ٠٠ ايه ده ٠٠ جرالك ايه ؟ قوم ياللا البس هدومك واسـع ٠

فى غير حماس ارتديت ملابسى ٠٠ لثمت خدهـا وظـاهر يمينها ٠٠ شيعتنى دعواتها ٠

عبأت صدرى بهواء الصبح الندى ٠٠ انتفخ صدرى كديك رومى ، حملنى اتوبيس الى العنوان الذى نقلته من صحيفة الأمس ٠٠ لفظنى فى مكان نظيف ورائع ٠٠ كله أشجار وخضرة وزهور ٠٠ سبحان الله ٠٠ انسلخت من دهشـتى ، وسـألت عن العنوان ٠٠

قالوا : يمين ثم شـمال ٠

البناية عالية ، مغطاة بالزجاج البنى وشـرائح الالومنيوم البيضاء اللامعه ٠٠ فى المدخل كان الزحام شديدا ٠٠ سألتهم عن السبب ، قالوا : ان المبنى كله تشـغله شـركة استثمار جديدة ، وطالبة عدد كبير من العماله ٠

قلت فى نفسى : دا باين كان عندها حق ، ثم عاودت سؤالهم

لكن دى يعنى شركة ايه ٠٠ يعنى بتشتغل فى ايه ٠٠ ؟

قالوا : حراسه وأمن ونظـافه ٠

(آه ٠٠ شركه حديثه ٠٠ مودرن ٠٠ تستأجر العبيد بثمن الأرغفه الحاف ، وتبيعهم للغير بأسلوب عصـرى متحضر بثمن أعلى ، وتدس الثروة فى خزاينهـا عشـان تعيد اسـتثمـاره فى مشروعات أشيك ٠٠ مطاعم بيتزا ومحلات حلويات ولحوم فاسده ، ويعم الخير البلاد وتجرى فى شوارعنـا الخاليه من الحفر والنقر والمطبات سـيارات الشبح والزلمّه ٠٠ عنوان الرخاء والنماء ، وتخرس الألسنة المغرضة اللى بتشيع إن البطاله والغلا والكسـاد عمت البلاد ٠٠ ياسـلام ع ٠ الهنا ، زغرتى يا أمـه ٠٠ زغرتى ، أهو ابنك حيبقى غفير قد الدنيـا ٠٠ غفير مودرن ببدله كحلى وكاب وشرايط مقصبه ٠)

لو سمحت يا استاذ ٠٠ اقف فى الطابور ٠

(يا اااه .. كل دا طابور .. ؟ طيب اللجنة فى اى دور ؟)

سألت آخر الواقفين فى الطابور ، قال : فى الثالث ٠

ـ بقالك كتير واقف ٠٠ ؟

ـ مش قوى ٠

ـ وانت حتقدم فى وظيفة ايه ٠٠ ؟

ـ أمن ٠

(آه ٠٠ بواب يعنى)

ـ بتقول ايه ٠٠ ؟

ـ بيطلبوا مؤهل ٠٠ ؟

ـ أنا بكالوريوس علوم ٠

ـ ٠٠٠٠٠٠

ـ وحضرتك ·· ؟

ـ حضرتى بكالوريوس تجارة ·

ـ أمن برضه ·· ؟

ـ أمن أو نضافه ما عدتش تفرق ·

ـ كل اللى واقفين دول جامعيين ·

ـ ويمكن بعضهم معاه ما جستير أو دكتوراه ·

ـ مش بعيد ·

ـ طيب لازمته ايه بقى الدولة تصرف على التعليم الجامعى المصاريف دى كلها ، طالما هى مش حتستثمر الناس اللى بتعلمهم ·

ـ لا ·· خللى بالك ·· ما هو علشـان تبقى راجل بتـاع أمن كويس أو عامل نظافه ممتاز لازم تبقى خريج جامعـه ، تفهم فى كيفية مسـك المقشه ومسح البلاط وتفتيش الشنط و ·· أمال يعنى حيودوا كل الخريجين دول فين يا أستاذ ·· هاه ·· حيودوهم فين يعنى ·· ؟

يزحف الطابور ·· أزحف وراءهم ·· أصبحت عند البـاب ·· دخلت ·

ـ اسمك ·· سنك ·· مؤهلك ·

مبروك ·· أمن ·

أخيرا يا أمى ·· زغردى قوى ·· ابنك بقى بواب ·· المهم يا أمى انى حا اقبض مرتب آخر الشهر ·· مش مهم نوع الشـغل ولا علاقته بالمؤهل ·· لكن ايه ده ؟ ·· ياسـاتر يارب ··

البنايه تهتز ‥ تتأرجح ، والناس تتصـايت ‥ تزعق ‥ تجرى يمينا وشـمالا باحثه عن الدرج ‥ أجرى معهم ‥ بينهم ‥ تتدافع الأيدى ‥ الأرجل ‥ المناكب ‥ أخيرا عثرنا على السلم ‥ خفت أن أقع فتدهسنى الأقدام ‥ يتهشـم رأسى ‥ أموت فطيس ‥ آه لو يمكننى أن أقفز الدرج كله دفعه واحدة ‥ لكن كيف ، وكل هذه الأجسـاد تزحمه ‥ ؟

الحمد لله ‥ اصـبحت الآن فى نهـر الطريق ‥ يا خلق الله ‥ !! من أين جـاء كل هؤلاء النـاس ‥ ؟ الجارى والذاهل والصـارخ والنادب والبـاكى والذى تذكر الله وقدرته فجأة فراح يستغفر من ذنبه و ‥ رحت أجرى ‥ تركت العنـان لقدمى ‥ ماذا هى فاعلة الآن ‥ أمى التى انتظرت دخولى عليهـا حامـلا بشرى تعيينى منذ أن خطت قدماى الى المدرسـه الابتدائيه ‥ ؟ والبيت القديم والحجرة المتشققة الجدران ‥ مازلت أجرى ‥ ألهث ‥ نفسى تقطع ‥ لا أستطيع أن أقف ‥ أشير الى العربات المجنونه حولى ‥ خدنى معاك ‥ لو ‥ سمحت ‥ خد ‥ نى ‥ معـاك ‥

أبدا ‥ كلها تجرى ‥ تتراءى لى شـقوق الجدران الطوليه وقد اتسـعت واتسـعت ، وقد اطل منها السـرير القديم بقوائمه السوداء ، وأمى تمسـك بها ، والذعر مرتسم على وجهها ، فأستمر فى جريبى بين المركبات المجنونه ٠

ابريل ٩٣

الزلــــزال

فوق الأوراق القليلة الحمراء وضعت كفى ‥ حطت كل هموم الدنيا فوقى فتجهم وجهى ‥ أكثر من مرة أحصتها أصابع الصراف المتوتره ‥ من وراء لوح الزجاج وقضبان الحديد الصدئة سحبتها ‥ دسستها فى جيب بنطلونى المظلم ‥ وجدت نفسى حبيس سجن التفكير الأبدى ‥ اعتدته كلما ذهبت منكس الرأس الى خزينة الديوان العتيق ‥ أرتد راجعا يمزقنى سياط أيامى الثلاثين ‥ السؤال مطارق متعدد الرؤوس تدق جدار الرأس ‥ تقبض يمناى على جنيهاتى الفقيره التى سأعبر عليها الثلاثين سدا ‥ كيف ‥ ؟

وقع خطواتى مارش جنائزى يشيعنى اقبرى الشاهد على عمرى الوظيفى ‥ تمددت وراءه ‥ أمسكت قلما ‥ نبشت على ورقة كلمات تمتمت بها شفتاى ‥

ـ ثلاثة فى ثلاثين يـ

ـ ثلاثة جنيهات فى اليوم ‥ ؟ !

ـ ......

ـ والسكن والمواصلات و ·

أطحت بالقلم وبأصابعى على امتداد يدى ‥ اصطدمت بالجدار الرطب ‥ زعقت لاعنا الوظيفة والمرتب وأول الشهر

وآخره والعيشه ٠٠ تسـاقط البياض المتآكل وأظافرى وبعض أملى الجاثم فوق صدرى فتعاظم تجهم وجهى ، وتجسـد عجزى ٠٠

– لكن لابد أن أفعل شيئا ٠
– مثل ماذا ٠٠ ؟

– أى شىء لكسر حاجز العجز المتنامى ٠

– حاولت ٠

– والعمل ٠٠ ؟

دعكت جبهتى بباطن كفى ٠٠ تراءى لى وجه صغيرى ٠٠ قال لى بالأمس :

طيخ بابا ٠٠ طيخ

– اشتر له واحده وأمرك الى الله ٠

– من الجنيهات الثلاث ٠٠ ؟ !

– أووووه ٠٠ بلاش زفت ٠

الخطوات الحزينة تترى فوق أسفلت الطريق المتكسـر ٠٠ من البعيد يجيئنى صوته ٠٠ بابا جه ، بابا جه

أدسه فى حضنى ٠٠ يمسح وجهى بقبـلاته ٠٠ يسـألنى : طيخ ٠٠ ؟ طيخ بابا ٠٠ ؟

– وجدته غاليا ٠٠ الواحدة بمصـروف يومين فى موازنة الأيام الصعبه ٠٠ تصور ٠٠ ؟

– ٠٠٠٠٠٠

– لأ ٠٠ وقرعه ٠٠ تصور ٠٠ ؟

يبدو أن التفاهم معه سيكون صعبا ٠٠ ضمنى مدخل الدار الرطب ٠٠ تعرف قدماى تضاريس الدرج المتآكل الحواف ٠٠ نعل حذائى المتهرىء يلامس أسطح الدرج فى رفق ٠٠ آه لو أجده نائما ٠ بضع درجات وضغطة على زر الجرس و ٠٠٠ ها هو ذا واقف أمام صفيحة قمامة الجيران ٠٠ تدس أصابعه قشرة بطيخ فى فمه ٠٠ يقضمها فى نهم ورأسه مزروعه فى قلب الصفيحة ٠

دارت رأسى ٠٠ لفنى السلم ٠٠ غامت المرائى ٠٠ ماتت أصابعى على الدرابزين ٠٠ أرتد راجعا حاملا جثمانى ٠٠ ضمنى الطريق ٠٠ تدحرجت ٠٠ غرس ناس الشارع أعينهم فى تضاريس وجهى ٠٠ على وجوههم ارتسم الأسى ٠٠ قلت لهم سيروا وراء نعشى وابحثوا معى على بائع بطيخ ، وأسألوه أن يترفق بجنيهاتى الفقيرة وهو يغرس فيها سكينه ٠

فى آخر الشارع كان واقفا وراء هرمه ٠٠ أشرت الى واحدة من وراء الحائط البشرى الذى سار وراء جثتى ، مزقت سكينته أحشاءها فسال دمى ساخنا ٠٠ أغرق نهر الطريق ٠٠ جفت عروقى فأحسست بالدوار ٠٠ ناولنى البطيخة الذبيحه ٠٠ أخذتها فى حضنى ، وقفلت عائدا وحدى ، وأنا ألعق دمى ٠

٣٠ / ٤ / ٩٠

زينـــة الدنيــا

كان يذرع الممر الواقع فى نهايته غرفة العمليـات ·· يضرب راحة كفه اليســرى بقبضة يمينه ·· يرسل عينيه الى السماء ·· تتمتم الشـفاه : يارب ·· ترتد العينان الى ميناء الســاعه ·· الواحدة ··ودقيقة ·· ودقيقتان ·· وثلاثه و ···

يتخطى صراخها حاجز الجدران ·· يوووووه ·

تتلقفة أذناه ·· ينقبض القلب ·· تتمتم الشـفاه ··

ويسود الصمت ·

❊ ❊ ❊

خمس سنوات ولم ينتفخ بطنها بجنين ·· اعتراها القلق ·· سألت لداتها فدلقن نصائحهن فى أذنيها ·· تلتقطها وتجرى الى الأطبــاء ·· المستشـفيات ·· العطـارين ·· الأضرحه ، وحتى المشعوذين ·

من البيوت المجاوره تنطلق الزغاريد المطوطة ·· مبروك ·· يتربى فى عزكم ·· الى أذنيها يحمل الهواء دقات الهون وأصوات الصبية ·· الفرحة تختلط بأصوات النســاء ··

تتحســس بطنها ·· من داخلها يتسرب السؤال : لم ·· ؟

تطلق أهه ·· ينزاح الحجر الجاثم فى الصدر ·· الأذنان تلتقطان أصوات الصبية المتناغمة ··

يا رب يا ربنا ، يكبر ويبقى قدنا ·

تطلع حسرتها وتسرح للبعيد .. تمصمص الشـــــفاه .. فى أسى تهز الرأس ·· تهمس : الأمر لله ·· تدمع العينـان ·

تتعالى دقات الهون .. صوت النسوة .. اسمع كلام أمك .. أسمع كلام أبوك ·· تتنهد ·· يرتفع الصدر ·· تزفر ··

* * *

قالوا له : ربما يكون هنك ·· ؟

جرى ·· اجتازت قدماه مدخل العياده ·

سأله الرجال قلقوا الوجوه ·

(ماذا أقول لهم ·· ؟)

الشفتان ظلتا مطبقتين ، وأعين المرضى مرشـوقة فى وجهه ·

قال : أصـل ·· يعنى ·· الموضوع ·

قال أحدهم : قلها لا تجبن ·

من حولهما تعالت القهقهـات ·

أحس بشىء يغلى فى رأسه ··

(وبعد ·· أأنصرف ·· ؟ أم ·· لكن ·)

مخيمر حسـانين

زعقت عقيرة التمورجى ·· استدار ·· جرى ·· احتوتـه الحجرة كابية الضوء ·

ـ اخلع ·

يمنة ويسرة تحركت الرأس .. من العينين أطل الخجل .

(يبدو أنه لا مفر)

بين الاليتين دس الطبيب أصبعه الأوسط ·· فى مخبار زجاجى التقط المقذوف ·· تحت المجهر وضعه ·

ـ خير يا افندم ·· ؟

تحجرت العينان القلقتان على شفتيه ·

ـ لا عيب لديك ·

الحمد لله ·· صرخت روحه فرحه وجرى خارجا

❋ ❋ ❋

ســألته أمه : الى متى ستنتظر ·· ؟

قالت شقيقته : أنت شقيقنا الأوحد ، ونريدك أن تخلد اسـم أبينا ·

قالت أمه : انتظرت ما فيه الكفايه ولن يلومك أحد ·

زعق فى حده : وما قولكما ان كان العيب منى ·· ؟

❋ ❋ ❋

من نافذتها المطله على الحاره تنظر الى الأطفال وهم ذاهبون الى مدارسهم ، وهم عائدون ·· يلعبون ·· يدحرجون شقاواتهم ·· يضحكون ·· يقهقون ··

وتراه يداعبهم فى رواحه وغدوه ·· يمسح على رؤوسهم ·· يأخذهم بين يديه ·· يضمهم الى صدره ·· يناغيهم ··

تغالب دموعا تترقرق فى العينين ·· تنفلت فتنسال فوق الخدين ·· الى الخلف طوحت الرأس ·· بدت زرقة السماء صافية ·· يارب ·· تمتمت شفاهها ··

(لكن لا بد من عمل شىء)

فسألت وسألت ، وقالوا وقالوا : فلانه شاطره جدا ·· وجرت اليها ·· وجدت نفسها تقف وسط الحجره ·· تنقل العينين بين الجدران ، والسؤال حائر فى الرأس ·· ماذا أقول لها ·· ؟

على صفحة وجهها قرأت الطبيبة حيرتها ·· بادرتها قائلة : أهلا أهلا ·

استبقت كفها بين قبضتها ·· على مقعد مجاور لمكتبها أجلستها ·· عن اسمها سألتها وسنها وتاريخ زواجها ·

و ·· بسيطة جدا ·· تعال ·· تمددى ·

وأخذت العينه ، وضيقت حدقتى العين ، وراحت تكتب ملاحظاتها ·

– خير يا دكتوره ·

– خير ·· علاجك بسيط جدا ·· لبوسه كل يوم ليلا لمدة اسبوع ، وأراك ثانيه ، ودارت الرأس ، والمرائى ، والبطن تفرغ ما بها و ·· آه ·

جاءت أمها ·· جست صدرها ، وجدته مكورا فى غير ليونه ·· دافئا ·

الدهشـــة افترشـــت وجه العجوز ·· تهمس ·· معقول ·· ؟

* * *

دخل الدار يسألها عن حاجتها ·· زادت مســاحة البياض فى حدقتى العينين لمــا وجد لديهــا فاكهــة كثيرة ولحما طريا ·· ســألها : من أين ·· ؟

همست : من عند الله ·

بعينيه اتجه الى الســماء ·· ســأل نفسه وكأنه يؤنبها : كيف فاتنى ذلك ·· ؟

العينان نهران يجودان بالدمع ·· تخلل تجــاعيد الوجه ·· الى الســماء رفع يديه ·· المرأة عجوز عقيم ، وأنا قد بلغنى الكبر ·· وأنت الخالق القادر ·

سألتها لمــا رأت حيرتها : ايه يا أمى ·· ؟

قالت عينا العجوز : كل شىء جائز ·

قالت : طمئنينى ·

أصــاخ العجوز الســمع لصوت خافت آت من البعيد ·

_ ان الله يبشرك ·

_ قولى يا أمى ·

* * *

– حامل يا ابنتى ٠٠ حامل ٠

رأته قبالتها فقالت له بصـــوت فرح ٠٠ مبروك يا ابنى ٠٠ زوجتك حامل ٠ اجر ، واشتر لهـــا لحما ودجاجا ، ودعها تنـــام على ظهرها ٠

أن يكون له جناحان تمنى ٠٠ أن يزعق بملء فيه ليعلنها على الملأ ٠٠ زوجتى حامل ٠٠ أراد ٠٠

(امســـك عليك نفسك ياولد والا أضـــحكت الناس عليك ٠٠ نعم ٠٠ يجب ٠٠ لكنى غير قادر ٠٠ أريد أن أعلنها) ٠

– اذن لازم تشـــترك فى جمعيه ٠

قالها زميله فى المصلحة وهما جالســـان أمام مكتب الوكيل ٠٠ البدله الكاكى النظيفة تكسو الجسم ، والأزرار صفراء لا معة ٠٠ دائما لامعة ٠٠ لما أعجب بمظهره الوكيل طلبه بالاســـم ٠

– جمعيه ؟ !! لا ٠٠ لا ٠٠ أنا لا أتعامل بالقسط ولا أرتبط بجمعيات ٠

– لكن يجب أن تأخذ فى حســـبانك أنه ستكون هناك مصاريف اضـــافية ستتطلبها المناسبه ٠

– اه ٠٠ نعم ٠

– عشرة جنيهات كل شهر ، وتقبض مائة ٠

– بشرط ٠٠ أقبضها الســـابع ٠

– أول أغسطس باذن الله ٠

– اتفقنـــا ٠

❊ ❊ ❊

قالت له وهى تتلوى فوق سريرها : احضر سياره ·· بسرعه ·

ـ ألم تقولى أن موعدك أول الشــهر ·· ؟

الرأس ثقيله ، والســائل الدافىء ينســال منها ، ودواليب الســياره تطوى الطريق ·

ـ حاول الدخول بالســيارة حتى باب المبنى فهى لا تستطيع الســير ·

فحصتهــا طبيبة الاســتقبال فأمرت بســرعة نقلهــا لغرفة العمليات ·· ضــمتها الغرفة القــابعة فى نهاية الممر ··· هرول اليها الأطباء الملثمون ·· وراءهم أغلقوا الباب ·

آآآه

ملأالخوف القلب ·· اضطرب الخطو ·· العينان قلقتان ·· قبضته اليمنى تضرب الهواء ·· و ·· يارب ·

وااء ·· وواء ·

وانفتح الباب ·· التقطتها عيناه ·· قالت والبســمة تعلو ثغرها ·· مبروك ·· ولد ·

ـ ســمعت أذنه القلب يهتف : الحمــد لله ·· وهى ·· كيف حالها ·· ؟

لم ينتظر ردها ·· جرى اليها ·· فوق جبينها طبعقبلته ·· الف ســلامه ·· الف مبروك ·

كان الوجه مندى بالعرق ، والأجفان تغطى بؤبؤى العينين ·· براحة كفها الواهنة مســحت رأسه .. افترشت شفتيه بسمة حلوه ·· ســألته عيناها :

مبســوط ٠٠ ؟

سألها : أين هو ٠٠ ؟

سألته : ماذا ستسميه ٠٠ ؟

قال بلهفه : يحيى ٠٠ سأسميه يحيى ٠

دخلت تسبقها بسمتها ٠٠ قالت تسأله : أنت أبوه ٠

قال : نعم ٠٠ أين هو ٠٠ ؟

ـ اطمئن ٠٠ فى الحضــانه ٠

ـ هل يمكنهما الخروج اليوم ٠٠ ؟

ـ اذهب الى الادارة وسدد الحســاب حتى استخرج لك اذن الخروج ٠

جرى الى الدرج ٠٠ أمام مكتبه وقف ٠٠

ـ الفاتورة لو سمحت ٠

قلب فى أوراق أمامه ٠٠

شعر بالقلق يمور فى صدره فسأله :

ـ كم المبلغ ٠٠ ؟

ـ مائة وثلاثون جنيها ونصف ٠٠ ؟

صــاح دهشــا : يا ااااه ، وامتقع لونــه ٠٠ زوى مــا بين حاجبيه ، بينما تسللت أصابعه الى جيبه ، تتحسس الأوراق الراقدة فى غياهبه ٠٠ مائة وعشرة ٠٠ فقط مائة وعشره وليس فى البيت مليم آخر ٠٠

والعمل ٠٠ ؟ !!

تمددت الحيرة داخله .. سرحت عيناه .. ذهب كل سواد فى طريق ، والسـؤال يلح داخل جدران الرأس : وبعد ٠٠ ؟؟

لم يجد جوابا ٠٠ جرجر الخطو مبتعدا ٠٠ اجتازت خطواته المدخل .. راح يتلمس الطريق ، بينما شـفتاه تتمتمان : ليته ما جاء ٠٠ ليته ما جاء ٠

مارس ٨٨

المحــور الرابــع

ثـــم مـــــاذا

قالت بصوت كســاه الخجل ·· ابقى فوت على السوق وانت جاى ·

تتســلل أصــابعى الى جيبى تتحسس مــا فيه ·· اقدامى تتدحرج على الدرج ·· تلقفنى وحل الطريق ونبــاح الكلاب ·· أتلمس فى حذر المواقع اليابسة ·· لما كنا صغارا نلعب فى أزقتنا المخبوءة فى شــوارع العاصمة ، كانت تأتى عربات الرش تندى بلاطاتها المكعبة ، بعد أن يزيل عنها الكناسون الأتربة فتغدو أسطحها لامعة ·

من البعيد يتناهى الينا صفير بائع العســليه ·· اقف تحت شرفتنا وأزعق على أمى : هاتى مليم يا أما ·

تلقى الى شــلنا وتأمرنى بشــراء بطاطس وكيلو طمــاطم وحزمة جرجير وآخذ المليم ·

* * *

فى علب الكبريت المتراصه على طول الممر الضيق دســست عينى ·· صدمى الفراغ والصمت ·· جريت الى نافذة تطل على الميدان الواســع ·· طالعنى وجه الفارس المغوار ·· يأبى أن ينزل من فوق صهوة جواده الأشــــهب .. خانوه — فى زمن القوة —

فدسوا له عند الوالى ، وأجمعوا أمرهم ضده ·· انسحبت عيناى فى حسرة الى ما آل اليه حالنا ·· زفرت حزنا ··

يتلكأ عقرب الساعة الصغير فى المساحة الخالية بين السابعة والثامنة ·· مازال فى الوقت متسع ·· جريت الى السوق ·· بحلقت عيناى فى الأرقام ·· على وجهى ارتسمت علامات الدهشة والاستفهام فبدا أبلها ·· تردد السؤال داخلى : هل يمكن أن يبلغ جنونها هذا الحد ·· ؟ ! حملت سؤالى الى البائع : الصفر دا مكتوب غلط ؟

رمقنى بنصف عين ثم أعرض عنى .. أذن الى الملوخية .. الأقفاص البلاستيكية الصفراء تتكوم فوق بعضها ·· يتعالى قراق الدجاج البلدى ·· اشتهى لحمها ولا أقدر على ثمنها ·· الدجاج الأبيض الضخم يصوصو كما الكتكوت ·· ماعت نفسى فأدرت لكل شىء ظهرى ·

* * *

ـ الشاى ياريس ·

ـ فين الجريده ؟

ـ بقت بربع جنيه ·

ـ ايه ·· ؟ !

(بناقص ·· يعنى هيه فيها ايه ·· ؟ الريس قابل والريس ودع ، وتهانينا لابننا النابغة لتخرجه من الجامعة الاميريكيه ، وانتقل الى رحمة الله فلان بن علان باشا وزوج كريمة الوجيه

ترتان ·· كلب لولى انتهزت عائلته فرصـــة موته لتخرج لســانها للرعاع ··)

شفطت ثمالة الشــاى بتلذذ ·· أطفأت النــار التى أججتها الطعميه فى صدرى ·· فى أيام صباى الأولى نعمت بأكل سندوتشات الجبنه الرومى مع أكواب الشــاى بالحليب ·

(ظهور ثمار الكانتلوب والفراوله فى السوق وخيار الصوب)

ـ استعجلوا لنا مذكرة الحوافز يارجاله ·

(الأهلى بطل افريقيا)

ـ هيه عاصمة البانيا ايه يا اخوانا ·· ؟

(زواج الفنانه من المليونير العصــامى ····)

هه ·· مســتورد لحوم الجوارح بقى عصــامى ·· يا ولاد الكلب ·

ـ اللا ايه أخبار الترقيــات ·· ؟

(ترقيــات ·· ؟ ! أكثر من خمس سنوات لا أذكر أن أحدا فى المكتب قام بأى عمل ·· خمس سنوات نجىء ونذهب لنوقع فى ســجلات الحضــور والانصراف)

ـ اللى ما صرفش الحوافز يروح يصرف ·

ـ طب وحنصرف الأرباح امتى ؟

* * *

غامت الســماء فجأة وهطل المطر بغزارة ·· بلل رأســى وكتفى ·· أجرى ·· ها هو ذا دار الأدباء ·· أقترب منه ·· احتمى

بجدرانه ·· لكن ·· من هؤلاء ·· ؟ جنديـان ·· بندقيتـان ·· سونكيان مشرعان فوق الأكتـاف ·· لماذا ·· ؟

ـ بتحرسوا ايه ·· ؟

ـ البيت ده ·

وأشـارا الى المبنى المتهالك

ـ ده ·· ؟

قال أحدهما : فجأة ضرب البروجى ·· شدينا طوارىء ·· وهب ·· اجرى يا عسكرى بالخطوه السريعه ، وحشـرونا كلنـا فى عربية كبيرة ·· فضلت تلف بينا كل الشـوارع ·· سـاعة سـاعتين لما كنا حنفطس ، وما صدقنا ان الظابط أمرنا ننزل ونقف هنا ·

ـ هنا ·· ليه ·· ؟

ـ احنا عبد المأمور ·· علينا ننفذ الأوامر وبس ·

لسعتنى سياط الصقيع ·· أتداخل فى بعضى ·

استطردا : هما تلات سنين نقضيها بأى شـكل والسـلام ·

ـ تلات سنين ؟

ـ يمكن اكتر مش أقل ·

ثم انفعل قائلا : أنا اللى تاعبنى انى حاسس انى ما بعملش حاجه ·· طب دا أنا كنت كل يوم أصحى م · الفجر ، وأجرى على حتة الأرض ·· أقلبها وابدرها واروبها وازرعها ·· أزرعها خضار أو برسيم أو دره ، وكانت أمى الله يمسـيها بالخير تاخد الزرعه

وتبيعها فى البندر ، وبفلوسـها كنا عايشين وبنعلم الصـغيرين ·· دى الوقت الأرض بارت ، والعجوزه اتاوت فى الدار ، والصغيرين الله يكون فى عونهم ، وأنا هنا زى ما انت شـايف ·

ــ ولا يهمك يـا وحش ·· بكره تخلص جيشـك وترجـع لأرضك و ··

ــ لا لا ·· أنا مش حارجع البلد تانى ، بعد ما خلص الجيش حابعت أجيب أمى واخواتى ونعيش هنا على وش الدنيا ·

ــ وأرضك ·· ؟

ــ ما تلزمنيش ·

ــ ايه ؟

ــ حابيعها والعب بتمنها لعبه ·

ــ هنا ·· ؟

ــ اليمك كله هنا ·· سنه سنتين بالكتير وتلاقينى بالعب فى أرنبين تلاته ·

ــ بس دا هنا بحر ·· السـمك الكبير بياكل الصغير ·

ــ حبقى حوت ·· قرش ·

ــ بس دا ·

قال الآخر : عارف يافندى يوم ما نغلب خالص ندور لنـا على ناصية ، ونقلبها موقف عربيـات ، وكل واحد يطلع له بعشرة عشرين جنيه فى اليوم ·

ــ صدقونى ان ال

تأففا من الحاحى فنأيا بجانبيهما عنى

***

تحت مظلـة موقف الأتوبيســات فى الميدان الكبير وقفت انتظرها ٠٠ صرت نقطة فى بحر البشر المنتظر ٠٠ على صفحات الوجوه تشبث القلق ٠٠ أرفع رجلا وأضع أخرى ٠٠ فى رأسى تتكوم علامات الاستفهام ، أقلب كفى وأمط شفتى السفلى ٠٠ تأخذنى عربة آتية ٠٠ تجرى اليها عينـاى ٠٠ ترتدان خائبتين ، وأتبـادل الوقوف على رجـلى ٠٠ أنفخ ملـلا ٠٠ أتســـاءل : وبعدين ٠٠ ؟؟

١٥ / ٧ / ٩٣

البلياتشـــو

سألتنى البنت الحلوة ، لهطة القشـطة ، زميلتنا فى قسـم الأقتصـاد ·· انت عضو فى أى نادى ·· ؟؟

التقطت أذناى السـؤال ، فرحت أقضم أظافرى حتى أجهزت عليها ، ازدادت مسـاحة الصمت بيننا فقالت بعصبية : أسـألك عن الـ ـ ـــ قلت مقاطعـا : آه ·· تذكرت ·

(أبى كان كواء الحى ، وكان فعل ماض ، فالنـاس كلهم الآن يقومون بكى ملابسهم بأنفسـهم بعد انتشـار المكواه الكهربائية ، فاختفى بذلك صبى المكوجى ، وواكب ذلك اختفاء الشغالات الريفيات ذوات الوجوه المصوصه من بر مصر ، فكان ذلك ايذانا بظهور شـغالات من سيريلانكا والفلبين ، لزوم الوجاهه والأبهه لسكان الأبراج وأباطرة الانفتاح ، ولما كان أبى يقضى نهاره كله وجزءا كبيرا من ليله واقفا وراء (بنك) المكواه أصيبت ساقاه بالدوالى ، وامتلأ صدره بدخان الغاز المشتعل ، فمرض بالربو وكرش النفس ، فلازم الغرفة التى كنا نسكنها ومازلنا ·· غرفة واحدة ، فيها نأكل وتطبخ أمى وتغسل ، وفيها ننام ونستقبل من يجيئنا من الأنام ، وأحيـانا ·· أحيانا نقضى فيها حاجاتنا لما يطول وقوفنا فى الطابور الذى ينظم دخولنا الى دورة المياه الوحيدة التى يقضى فيها سكان الغرف الخمس المنتشـرة فى طابقنا النائم فى الظلمة حاجاتهم كلما أمكن)

ســألتنى ماذا تذكرت ٠٠ ؟

نظرت الى عينيها الغبيتين ، وســرحت ٠٠

بعد أن حصلت على البكالوريوس بدرجة امتياز مع مرتبــة الشرف ، اصابنى طموح ، ادعو الله أن تنأوا عن مثله ، وينأى عنكم ، خاصة بعد أن عينت عضوا بهيئة التدريس بالجــامعة ، ٠ فقلت لنفســى ــ والنفس أمــارة بالســوء ــ أكافىء أسرتى ، التى تحملت الضنك من أجل تعليمى ، بأن أنقلهم للعيش فى شــقة بها دورة ميــاه مستقلة ، أخبرنى بهــا ــ فى الســر ــ ابن صــاحب البناية ، فلبست أحسن ما عندى ، وعمرت جيوبى بما ادخرته خلال سنوات عمرى الوظيفى ، وشددت الخطو نافشــا صدرى ولا أحسن ديك رومى نحو صــاحب البناية التى تعتلى طوابقهــا اللانهــائية بعضــها ، ووقفت قبالتــه بصــدرى المنتفخ ، فجيوبى عمرانــه والحمد لله ، لكن ســرعان ما ارتعشــت ســاقاى وتعددت أمــامى المرائى وتداخلت ، وشــعرت بالدوار يعترينى فاســتندت الى جدار ، متفاديا الســقوط من طولى ، وتمكنت من التقاط ابتســامة الشماته من فوق شــفتيه المتضخمتين ٠٠ بصقت غيظا واســتدرت ، تعقبتنى كلماته .. تنغرس فى جلدى .. تخترق جمجمتى ..

ــ كم معك ٠٠ ؟

ــ ثلاثة آ ٠٠٠

ــ هأهأ ٠٠ ياراجل ٠٠ قل كلام غير هذا ٠

ــ ٠٠٠٠

ــ يمكنك أن تجد عشه بهذا المبلغ تسكن فيهــا ٠

استطالت مساحة الصمت أكثر بيننا ، فقالت : وحدوووه ٠

قالتها البنت الحلوه ٠٠ لهطة القشطة العطنه وضحكت

قلت : لا اله الا هو ولم أضحك ، وعدت ثانية أقضم أظافرى ، وأغرق فى يم سؤالها المطروح ٠٠ لما سمعت صمتى الذى حاولت نسجه حوالى مزقته بالحاحها ٠٠

ـ لم تجب على سؤالى ٠٠٠ ؟

قلت : أيام صباى كون أولاد حارتنا فريقا للكرة الشراب ، فرحنا ننط الترام ونجوب أحياء السيده والمذبح والقلعه وبولاق لنلاعب فرقها ، ولما كبرت والتحقت بالجامعه اضطررت أن أعمل حتى لا يقتلنـا الجوع

فجأة وجدتهـا تغرس فى وجهى عينيهـا ، ثم صـاحت : اذكر أننى رأيتك من قبل

(كان المرض وقتها قد بدأ يأخذ بخناق أبى)

قالت : ربما فى النادى الأهلى ٠

(قالوا لى الكليه موادها صعبة ولن تقدر على الجمع بينهـا وبين العمل ، فعربد الخوف فى كيانى)

قالت : أو نادى الصيد ٠ (استدعانى العميد واطلعنى على كتاب وصله من أحد زملائى يخبره فيه بأننى أعمل فى أحد الأندية العامة ، خيرنى بين الدراسة فى الكلية أو العمل ، اخترت الدراسة فقد اعتدت سنوات الجوع)

قالت محتده : هل سـأظل أتكلم وحدى ٠٠ ؟

سألتها : ماذا ٠٠ ؟

قالت : ما رأيك ٠٠ ندخل سـينما ٠٠ ؟

هتفت قائلا : أنا من رواد الأهلى ٠

صاحت فرحة : هايل ٠٠ برافو ٠

قلت مندهشا : ماذا .. ؟ !!

قالت : طول عمرنا أعضـــاء فيه ٠

تســـاءلت : فى سينما الأهلى ٠٠ ؟

قالت بقرف : ياى ٠

(ياى منك ومن أهلك ومن اللحظة التى جمعتنى بك يابنت ستين ٠
قالت : ماذا تقول ٠٠ ؟

أســـرعت قائلا : لا ٠٠ أبدا ٠

٠٠٠٠٠٠

قلت متسائلا : طبعـــا تعرفين ذلك المغنى الذى يقول « حبـــه فوق وحبه تحت »

قالت والفرحة تعترى كيانها : عدويه ٠

(لا والله يا بنت ٠٠ شـــاطرة ٠٠ شاطرة وحاضره)

قلت مستطردا : سيظل الوضع الاجتماعى والتركيب الطبقى على ماهو عليه رغم أنف لينين وماركس ٠

قالت والفرحة مازالت تغشى صوتها : لينين مخرج ممتاز ٠

تساءلت منزعجا : ايه ٠٠ مخرج ٠٠ ؟ ! ٠

(قضيت ســـنوات من عمرى فى قراءة الاقتصـــاد وتراجم أعلامه ،

ولم اقرأ فى سيرة لينين أنه عمل كمخرج ، ولكن ربما كانت قراءاتى قاصره ، أو تكون ذاكرتى قد شـابها العجز والوهن)

ارتعبت ، فأسرعت قائلا : فى أى كتاب ورد ذلك ٠٠ ؟ !

قالت مزهوة بانتصـارها العلمى والثقافى : ألا تعرف لينين الرملى ٠٠ ؟

وجدت أن الصمت أجدى فلذت اليه ٠٠ لا حقتنى قـائلة : ولكن من هو ماركس الذى ذكرته ٠٠ ؟

قلت : هونى عليك ، فهو ليس مخرجا ولا يعمل بالفن ، مجرد بائع فول ، يقف بعربته على باب حارتنـا ، ويزعق بين حين وآخر ٠٠ اللوز ٠ قالت وقد اتسعت حدقتا عينيها : حارتكم ٠٠ ؟

(لو استمر الحوار معها على هذا المنوال سـوف أفقد عقلى حتما ، وربما أقدم على خنقهـا ، فوجب الفرار)

تركتها ورحت أعدو ، ٠ والوجه الملطخ بالأصباغ يلاحقنى ، ولما أدركت أننى ابتعدت بما فيه الكفايه توقفت لألتقط أنفاسى ، لكنى وجدت سـؤالا يطـاردنى ٠٠ أهى حقـا زميله فى قسـم الاقتصاد ٠٠ ؟ ملأنى الغيظ ، ٠ فالتقطت حجرا مدببـا ٠٠ استعدت فى رأسى الوجه البلياتشو ٠٠ حفرت تقاطيعه فوق جدار مهجور ٠٠ اقترب منى شاب صغير ٠٠ رنا الى الوجـه المحفور مندهشـا : بالضبط ٠٠ ابنة العميد أليس كذلك ٠٠ ؟ وابتعد ٠

أن أنفض سروالى وأبول فوق الوجـه هممت ٠٠ سـرعان ما تجمع الناس حولى ، اسـتدرت ودلقت كل أدوات الاسـتفهام التى تمور داخلى : لم ، وكيف ، والى متى ٠٠ ؟

تكومت فوق وجوهــهم علامــات الأســى ٠٠ اقتربت منهم زعقت ٠٠ لم ٠٠ ؟ قال أحدهم للآخرين محذرا : كأننــا لم نسمع شيئا ٠٠ واستداروا ٠٠ تلامســت مناكبهم ٠٠ تلاصقت ٠٠ حالت بينى وبين الجدار ٠

٢١ اكتوبر ٨٦

ســـــــهرة

الى الورقة المعلقة بلوحة الاعلانات سافرت أعيننا .

انتقل الى رحمة الله ٠

طوال الاسبوع نتطلع بشوق الملهوف الى عصر الخميس ٠٠ فى شـغف تتلقف اذاننـا عواء السرينة ٠٠ نستبق الباب لنكسـر حاجز الرتابة الذى يأخذ بخناقنا ستة أيام كاملة .

لا حول الله ٠

صاح أحدنا ، نسأله الآخرون :

ـ مين ٠٠ ؟

ـ أبو اسماعيل عبد الخالق ٠

ـ سبحان الدايم ٠

فى العربة انحشرنا ٠٠ صرخت العجلات فوق أسـفلت الطريق

ـ على مهلك ياعم احمد ٠٠ مستعجل على ايه ٠٠ ؟ !

ـ شغل التسجيل ياريس ٠

انسـابت بحات صوتهـا فأهاجت شبقا يمور فى أجسـادنا الفتية ٠٠ انطلقت الحناجر تردد مقاطع الأغنية ، والاكف تصفق فى تناغم يوافق الايقاع ٠٠ قام واحد وراح يتلوى .

الطريق طويل ·· يعكس الأســفلت الــلامع البعيد أشــعة الشمس ، فبدت كماء رقراق ·· على جانبى الطريق تمتد أشــجار الكازورينا والكافور ··· تلتقى هناك عند مرمى البصر ·

الصبريات ·· أبو مناع ·· فاو بحرى ·· الرحمانية ·

اللافتات البيضاء الصغيرة ، حاملة أسماء النجوع تجرى للوراء ··· استحال ظهر العربة الى أتون ·· تنز المســام العرق فتنتشر رائحة كما العفن ·

ـ يا نار كونى بردا وســلا ما·

ـ ربنا يجعلنا من بركاتك ·

ـ ويكتر من أمثالك الحرامية ·

ها ها هـ ـ ـ ـ ـاى

ران صمت ثقيل للحظات ، قطعه أحدنا قائلا : تلاقيه مبسوط ·

ـ آه طبعا ·· دا كان بيشتكى منه ·

ـ بتتكلموا عن مين ·· ؟

ـ أبو اسماعيل ·

ـ ايه ·· ؟ !!

ـ كان تاعبه ·

ـ يا أخى ·· اذكروا محاسن مو ···

ـ يا محاسن الصدف ·

هأ هأ هاى ·

اجتـازت العربـة الكوبرى الضـيق ، • وقفت وراء ذراع المزلقـــان ..

مرحب حضرة الصول .

قال السـائق للعسكرى القابع عند طرف الزراع •• أرسـل عينيه الى داخل العربة •• زعق : العدد كده اكتر من اللازم •

تلقفت كفـه الضـخمة القرص المعدنى الذى رمـاه اليـه السـائق •• اهتز كرشـه فرحا •• رفع الزراع •• مرقت العربة تجتاز المزلقان ••

آه ياولاد الكلب يانور •

مغتاظا زعق السـائق •

ــ حمد الله ع السـلامة يا أحسن سـواق •

قال العسكرى الواقف عند المفارق •

ــ ولا مليم وحياة أمك •

* * *

كل نفس ذائقة الموت •

من البعيد تناهى الينا الصوت •• سرنا صوبه •

ــ ياه •• ايه ده •• كل ده ضوان •• ؟

ــ كله من عرق الغلابه •

ــ البقية فى حياتكم ..

ــ سعيكم مشكور •

ــ ذنبكم مغفور •

أقسموا أن نجلس فى المضيفه ٠

الجدران عالية شامخة ٠٠ الثريات فخمة تخطف الأبصار ٠٠ كلنا نقف فى الطابور ٠

استرسل الخطيب ٠٠

ننتظر دورنا ٠

عيش واللاصابون ٠٠ ؟؟

تداخلوا فى بعضهم حتى لا تفضحهم ضحكاتهم ٠

جاء اســماعيل فنثروا الحزن فوق الوجوه ٠٠ أخذوه الى احضانهم وضغطوا أجفان أعينهم ٠

سرينة سيارة تعوى من البعيد ٠٠ هب الناس من مقاعدهم ٠٠ جروا الى مدخل السرادق ٠٠

المأمور وصل ٠٠ المأمور وصــل ٠

تصايحوا ٠

ترجل من ســيارته يسبقه كرشه ٠٠ تعكس القطع النحاسية المتزاحمة على كتفه الأضواء المتســاقطة عليها ٠

ـ أهلا وسهلا يا باشا ٠

ـ اتفضل ســعادتك ٠

ـ سعيكم مشكور يا باشا ٠

جلس قبالتنا ٠٠ حملة السجائر جاءوا فى صفوف طويلة ٠٠

ـ شكرا لا أدخن ٠

اقتربوا من المأمور فكادت جباههم تلمس الأرض ٠٠

تناول واحدة ٠٠ امتصت شفتاه طرفها فتوهج الآخر ، ثم زعق فجأة : يا اسماعيل ٠

أهاجت الزعقة الذباب الملتصق بالجدران ٠٠ ها جمنا الطنين ٠ بوجه غطاه القرف جاءه اسماعيل ٠

ـ الكهربا دى كتير قوى ، وانت عارف ان ده مخالف لـ ـــ

قال وعيناه تتقافزان فوق كرشه : ولا يهمك يا باشا ٠ كله حيكون تمام ، وحتكون مبسوط ان شاء الله ٠

انفرجت أساريره ، فراحت كفه تمسح على كرشه ٠

❊ ❊ ❊

اعتلى مقرىء كفيف المقعد العالى ٠٠ لعلع صوته ٠٠

« قال انه ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب »

أطفأ البعض لفائفهم ، واختلس البعض انفاسا قبل أن يدهسوها بأقدامهم ٠

« وأنتم عنه غافلون »

ـ ان جيت للحقيقة احنا ياغفلانين يامطنشين ٠

ـ وآخرتها ٠

مط شفته السفلى وقلب كفه ٠

ـ لا ٠٠ لو ما صحيناش حيرمونا فى البير ٠

قال آخر : هو الشيخ متصربع ليه ٠٠ ؟

– هأ هأ ٠٠ ما قدروش ع ٠ الحمار ٠

– ألا مين اللى مات ٠٠ ؟؟

التقطت عينــاه علامات الدهشة التى احتلت صفحة وجهى ، فقال :

– أصلى جيت على ملا وشى ٠

– ليه ٠٠ ؟

– لقيت المأمور جاى فما قدرتش أتأخر ٠

عبد الخالق أبو اسماعيل ٠

أجاب أحد المجلببين ٠

– كان ظالم ٠

– آه ٠٠ وأنا أقول النعش كان تقيل ليه ٠٠ ؟

– يا ســاتر ٠

– من ذنوبه ٠

– حرام عليكم ٠

قلت والقرف يملؤنى : ياللا بينـا ٠

– لما الشــيخ يصــدق ٠

قال آخر : عــاوز ألف أشــوف البلد ٠٠ طول الأســبوع محبوسين ٠٠ الصبح فى المصنع وبعد الضهر فى المدينة السكنيه ٠٠

– افرض يا أخى ان ما كانش فيه عزا ٠

ـ تف من بقك ٠

ان شـاء الله كل خميس ميت عشان يطلعوا لنا عربيه ٠

اشـار الأمور الى أحد المجلببين ، جاءه مهرولا ٠٠ همس في اذنه زاعقا : قول للأعمى يخلص ٠

كان صوته ملعلعا

« وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب »

صدق الله العظيم

❊ ❊ ❊

وكأننا تخلصنا من قيد كبلنا لسنين طويلة فزعنا واقفين

ـ سعيكم مشـكور

جرينا نجوب الدروب ٠٠ تخطف أبصـارنا الأضـواء ٠٠ اشترينا كل ما كان يقابلنا ٠٠ لب ، سودانى ، فاكهة و ٠٠٠

ـ ايه الزحمة دى ٠٠ ؟

ـ سينما ٠

انسحب من بيننا ٠٠ اندس في الزحام ، راحت أعيننا تتابعه ٠٠ التقطته وهو يلوح لنا بالتذاكر ، وبسمة انتصـار عريضـة تفترش وجهه ، زحفنا وراءه حتى ابتلعنا الظلام ٠

فبراير ٧٥

ســـوق الكبـــار

كل شـىء يجرى فى المصـلحة على قدم وسـاق ٠٠ الكل يتحرك ٠٠ يعمل شيئا ٠٠ أى شىء ٠٠ يجرى يمينا ٠٠ شـمالا ٠٠ المهم أن يرى متحركا ، يعمل ٠٠ حتى رؤساء الأقسام الذين يسيرون بخيلاء كذكور الطواويس ويتكلمون فيخرج الكلام من أنوفهم كانوا يتحركون ٠٠ هاهو ذا رئيس الحسـابات يعد المنصـة التى سيجلس وراءهـا رئيس مجلس الاداره الجـديد والرئيس الذى بلغ سـن التقاعد ، ومدير الخدمات يشرف بنفسه على توزيع المقـاعد فى القـاعة الكبيرة ، ومدير العلاقات العامة يتأكد بنفسه على تجهيز المشروبات ونظافة الأكواب ، ومدير الـ ٠٠

الوجوه لامعه ٠٠ جامدة ٠٠ ملسـاء ٠٠ والأجسـاد تتحرك آليا ، واحمد بك ـ نائب رئيس مجلس الأدارة ينتحى ركنا من أركان القـاعة الكبيرة مع ورقة بيضاء أمـامه والقلم بين أصـابعه ، يكتب خطبة عصماء يستقبل بها رئيسـه الجديد سـيد بك منصور الذى لم يسـمع به من قبل ولم يره ، راح يفرك جبهته ويعمل فكره فى انتقاء الكلمات ٠٠

انه رجل العمل المخلص الجاد الذى لأيألو جهدا فى العمل على زيادة الانتـاج ليسـاهم فى عملية الاصـلاح الاقتصـادى وفى هذا مصـلحة للوطن والمواطنين والعاملين ٠٠ انه رجل الصدق والشـهامة الذى كنا ننتظره من أمد بعيد ليحقق للعاملين آمالهم ٠

توقف القلم قليلا حينما طرأ سؤال على رأسـه : أليس فى ذلك مسـاس بالرئيس القديم ؟؟

فليكن ٠٠ مالنا به لن نره ثانية ٠٠ فليذهب الى الجحيم ٠٠ امتلأت الصفحة عن آخرها ٠٠ أعاد قراءتها مرة ومرة ٠٠ طواها أربعا ٠٠ دسـها فى جيبه مطمئنا ٠٠ أخذ مكانه فى المنصه منتظرا مجىء الكبار ٠٠ بعد أقل من سـاعة سـيجيئون ٠٠ كل سيجلس مكانه ، وينتصب هو واقفا وراء الميكروفون .. سيلعلع صوتى .. سـألوح بيدى وسأدق بقبضتى فوق المنصة مجسـدا ما أقول وكأنه خارج من قلبى ٠

جاءه مدير الأفراد ٠٠ مال اليه بوجهه الأملس ٠٠ همس : الوزارة غيرت رأيها فى اللحظة الأخيرة ٠٠

سألته عيناه : كيف ؟

قال : صدر القرار بترقية سـعيد بك نصر بدلا من سيد منصور قام ٠٠ انتحى ركن القاعة ٠٠ أخرج الورقـة من جيبه ٠٠ جرت عيناه فوق السـطور ٠٠ توقفت عند اسـم الرئيس ٠٠ أدخـل عليه تعديلا بسـيطا ٠٠ بدل بعض الأحرف بأخرى ٠٠ طواهـا أربعا ٠٠ دسـها فى جيبه ، ثم عب صدره بالهواء وجلس ينتظر مجىء الكبـار ٠

٣٠ / ٨ / ٩٢

الكـــوبرى

كل صباح يتلوى خطوى مع الحوارى الثعبانية الضيقة ٠٠ أشم فيها رائحة النوم ومعاشرة الليل وبول الأطفـال والماء المختلط بالصـابون ، اخترق الدروب حتى أصـل الى المزلقان الذى أعبره دوما من فوق العربـات الملطخة بسـواد الأسـفلت الذى تنقله ، أو من تحتها حسـب ارتفـاعها أو انخفاضهـا ٠٠ أقف سـاخطا للحظات ٠٠ تبرطم شـفتاى ٠٠ يعنى دا معقول ٠٠ طيب اذا كان ضرورى من وقفة القطر هنا بالذات يعملوا لنا كوبرى نعدى منه ٠

تلتقط أذنا أحد العابرين كلامى فيعلق قائلا : خليها على الله ياعم ٠٠ انت مش عارف بلادنـا ٠٠ ؟ !

أخطو فوق الفلنكات واجتاز قضبان السكك الحديدية ٠٠ أقف أمام العربات التى تعترض المزلقان ٠٠ أنحنى تحتها أم أصـعد فوقها ٠٠ ؟ أتردد ٠٠ أتقدم ٠٠ أتقهقر ، ثم أخطو منحنيا أسـفل العربات .. تلتقط عيناى العجـــلات الحديدية الرابضـــة فوق القضبان ٠٠ استشـعر ثقل العربات ٠٠ ماذا لو دارت وسقطت على ظهرى وتحرك القطـار فوقى ؟ ٠٠ تتفتت عظـامى وينهرس لحمى ٠٠ حتى الصرخة لن أطول أن أطلقها ٠٠

خفت فهرولت ، ولولا انحنائى لجريت ٠٠ أصبحت فى الجانب الآخر ٠٠ ضمنى الممر المؤدى الى الشـارع الكبير ٠٠ أصطف

على الجانبين باعة الفاكهة واللب والأوانى الألومنيوم الرمــادية الرخيصـــة وأكياس البلاستيك ، وحبــات النفتالين وماسحى الأحذية وبائعى الملابس القديمة والليمون ولاعبوا الثلاث ورقات ٠٠ أجتازه فتهاجمنى رائحة الميــاه العطنة الواقفة فى الترعة ٠ودخــان القمامة المحروقة ٠

قلت للرجل : وبعدين ٠٠ كل يوم ع ٠ الحال ده ٠٠ ؟

قال : لغاية ما القطر ياكل له واحد أو اتنين ٠

قلت : لازم نبعت شــكاوى ٠

قال : أه ٠٠ ماهو لازم ولا مواخذه يعملوا لنا كوبرى ٠

قلت : ولو اننا تعبنا شــكاوى ٠

قال : لا ولا مؤاخذه ، أنا قصدى نكتب طلبــات ٠

ـ كتبنا ٠

ـ تانى وتالت و ٠

ويتكرر الحوار ويتكرر ، وأحس خوف الناس وأرى الرعب فى أعينهم ، فيسكننى الرعب ٠

وبعدين ٠٠ ؟

أسأل نفسى فتجيبنى : عزل ٠٠ أعــاود السؤال مندهشا : فين ٠٠ ؟

كل يوم فى الذهاب والاياب خوف وقلق وحوار و ٠ ، حتى انتشلتنى الاعارة للعمل فى بلاد النفط البعيدة ٠٠ أخذت حقيبتى وجريت ٠٠ أحتوتنى الشــوارع اللامعة المؤطرة بأشــجار النخيل ،

والبنايات العالية ومحلات « السوبر ماركت » ونوافذ العرض اللامعة و ٠٠ السيارة تجرى بى وتجرى لتلقينى فى جب الأيام البطيئة ، المملة ، الكئيبة ٠٠ يضيق صدرى فأقرر كل يوم أن آخذ حقيبتى وأرجع ٠٠ أعد الأيام ٠٠ كل يوم أضيف اليها يوما ، نطقت الشهادتين لما أكملت العام ٠٠

أمام المزلقان غادرت العربة الأجرة التى لفت بى الشوارع التى تضج بالحركة ٠٠ غمرتنى الفرحة لما رأيت الوجوه المعششة فى قلبى ٠٠ الباعة وماسحى الأحذية والشحاذين ووجوه الأطفال الحنطيه ٠٠ توثب قلبى فرحا لما رأيت الكوبرى الحلم قائما يربط بين الضفتين ، وقفت من بعيد أتأمله ٠

لكن لماذا يهجره المارة ٠٠ ؟ الم يكن أملهم الذى انتظروه طويلا؟ تضخم السؤال فى رأسى ، فراحت عيناى تنتقلان بينه وبين جموع الناس الذين يعبرون المزلقان من فوق العربات التى تعترضه أو من أسفلها ٠٠ رآنى متسمرا قلق العينين فاقترب منى عجوز ، ترابى الوجه ، قصير ، ضامر الجسد ، سألنى :

ــ بتدور على حاجه ٠٠ ؟

ــ أبدا ٠

ــ متأكد ٠٠ ؟

ــ متأكد ٠

ــ أصل شكلك كده ولا مؤاخذه كأنك بتدور على حاجه ٠

ــ اطلاقا ٠

واتجهت الى الكوبرى المهجور ، لا حقنى العجوز قائلا : أصل محسوبك قديم قوى فى الحى ٠

قلت له : ربنا يديك الصحة ، ورحت أصعدالدرج ٠

لا حقنى قائلا : تعال يا أســتاذ ٠٠ من هنا أقرب لك ٠٠ مش

قلت لك أنا عارف كل حاجه ٠

لم أعره التفاتا ، ورحت أصعد الدرج ٠٠ لم أكد أجتاز المعبر العلوى ، وانزل من الجانب الآخر حتى رأيت كل العابرين والباعة الجائلين والشــحاذين ومـاســحى الأحذيـة يتجمـعون تحت الكوبرى ، وأعينهم تتابعنى فى دهشة ٠٠ انتظرونى عند أول الســلم ، اقتربوا ٠٠ تحوطونى ٠٠ انشبوا أعينهم المندهشة فى لحمى ٠٠ مد أحدهم يده يتحسسنى ٠٠ صــاح : دا زينا ٠

سألوه : بنى آدم ٠٠ ؟

قال : بنى آدم ٠

اخترقت الأجســاد المتلاحمة ، شــددت الخطو صوب البيت

ســألوه ثانية : أمال عمل كده ليه ٠٠ ؟

كنت قد ابتعدت بما فيه الكفاية ، فحاولت أن أضبط خطوى المضطرب ٠ بينما كانت الحقيبــة فى يمينى تتــأرجح للأمــام مع خطوى وللخلف ٠

٢ / ٢ / ٩٣

اراجـــوزات

على ظهره حمل خيمته ذى الجوانب الثلاثة وعرائسه وقفازه فى شماله ·· سار قاصدا باب الكريم ·· حملته قدماه الى حى الولى ·· جامعه يطل على ميدان فسيح فسيح ·· من البعيد التقطت عيناه المئذنة القلمية السامقة ، ·· بدت كخط مستقيم فوق صفحة السماء الرائقة ·· قلبه يتواثب فرحا مع كل خطوة تقربه منه ·· ما أن انتهى من آخر خطواته فى الشارع الضيق الطويل ، حتى تلقفه الميدان ·· أخذه الى حضنه على الرغم من كل ما يزحمه ·· باعة البخور ، والطراطير والسبح والمصاحف والطبل والشخاليل وتماثيل الجبس والمزامير ولعب البلاستيك الرخيصه والملابس القديمة والأحذيه المسروقه ، ولاعبى الثلاث ورقات والزقازيق والمراجيح والريفيين الذين تعبوا من اللف طول النهار فاقتعدوا الأرصفة بحللهم واوانيهم وأطعمتهم الفقيرة ·· أجساد كثيرة كثيرة ، ·· رائحة وغادية ·· راكضة وماشية ·· رجال ونساء ، شيوخ وشباب ، صبية وأطفال ، والمحلات فى كل جانب منه ·· تؤطره ·· منها تنبثق الأضواء ملعلعة ·· انسكبت على الميدان ·· أحالته الى نهار ، وعيناه تتقافزان ·· تجوسان خلال الأشياء ·· تبحثان عن خرم ابرة فلا تجدان ·

ما العمل اذن يا ربى ؟

سأل نفسه وقدماه مازالتا فى حركتهما الدائبة ، والخيمة

رابضة فوق ظهره ، والعرائس مستكنة فى قبضته حتى وجد نفسه فى شــارع ملاصق للضريح ٠٠ شده اليه فغــاص فى أحشــائه ، حتى التقطت عيناه مســاحة لم يكن يحلم بمثلها فأنزل خيمتــه من فوق ظهره ٠٠ نصب قوائمها الثلاثة ٠٠ حشــر الأمانة فى حلقه ، ودس كفه اليمنى فى القفاز و ٠٠ قبل أن يلتقط الأراجوز سأل نفسه ، ماذا أقدم للجمهور ٠٠ ؟ لقد ملوا مشــاهدة الأدوار المكرورة ٠٠ لابد من دور جديد يشــدهم ٠٠ وبينما هو كذلك يســمع هتــافات آتية من بعيد ٠٠ ذكرته بأيام صــباه ٠ لما كان صبيــا فى الكتــاب يشــاهد مظــاهرات العمــال فى شــوارع المدينــة ٠٠ وجــد نفســه يهتف فرحا : لقيتها لقيتها ، وبســرعه رفع الأراجوز لأعلى الستر ٠٠ زعق قائلا : هييييه ٠٠ قولوا هييييه صاح كل الواقفين أمام الخيمة : هييييه ٠

ثم أمرهم قائلا : قولوا : هااااااه ٠

فقالوا : هاااااااه٠

فقال الأراجوز بعد فترة صــمت طويلــه : كلفنى الزعيم أن أبلغكم أنه نزولا على رغبتكم قبل أن يتولى ادارة شئون البلاد على الرغم من ضيق وقته واعتلال صحته ٠

هيا ٠٠ صفقوا وقولوا هيييييه ٠٠ موافقون ٠٠ موافقون ٠٠

صــــاح الكل فى صــوت واحــد هييييه ٠٠ موافقون ٠٠ موافقون ٠٠

جذب صياحهم كل من كان فى الميدان والشوارع الجانبية ٠٠ اصطفوا أمــام خيمة الأراجوز وراحوا يهتفون : عاش الزعيم ، عاش الزعيم ٠٠

ارتجت أرجـاء الشـارع ، • فأطل الزعيم من فوق السـتر على الرعية الراعدة ، لم تستطع عيناه أن تحصـر صفوفهم التى امتدت فلم يظهر لهـا نهـاية •• تواثب قلبه فرحا ، لكن القلب كان ضعيفا •• رهيفا ، فلم يتحمل الفرحة •• سـقط من طوله ميتا ••

بسرعة تدارك الأراجوز الموقف •• صـاح بأعلى صوته : فليثبت كل منكم فى مكانه واصمتوا •

همد الهدير وانطبقت الشـفاه ، وعم السكون ، فزعق الأراجوز قائلا :

من أجل المصلحة العامة والمصلحة الخاصة وكل المصـالح قبلت ترشـيحكم لشخصى المتواضع رئيسـا للبلاد •

صاح الناس المرصوصين أمام الخيمة : هيييييه ، ثم راحوا يهتفون : عاش الزعيم •• عاش الزعيم •

وأرادوا أن يعبروا عن فرحتهم بتلك المناسـبة فراحوا يرقصون ويرقصون •• ولم يكن أى منهم يعرف أن فى اهـابه يكمن رقاص بارع بمثل هذه الصورة •

فبراير ٩٣

وتمــت أقـــوالهم

خاصرته حتى الباب ·· قبلته ·· قالت له وهو ينظر الى عينيها : لا تتأخر ·· تواثبت أقدامه فوق الدرج ، قالت له قبل أن يطويه الشـارع :

سأنتظرك على الغداء ··

أرسـل لها قبلة عبر الهواء ·

جاءت متخمة ·· متلاحمة الأجسـاد ·· لم يتردد ·· حشر قدما بين الأقدام ·· تطوحت الأخرى فى الهواء ·· أحس بيد تعبث فى جيبه ·· لم يملك الا الصراخ ·· صرخ : حرامى ·· حرامى ·· تحسس جيبه ·· لم يجد حافظته ·· قفز وراءه ·· جرى يسـبقه صوته ·· حرامى ·· حرامى ·

لحق به ·· قبل أن يمسـكه استدار نحوه ·· غرس نصـل مطواته فى جنبه وجرى ·· صـاح : آآآخ ·· انبثق الدم الحـار من جسده ·· سـقط ·· غرق فى دمه ·· تجمع الناس حوله ·· انفضوا ·· تجمع آخرون وانفضوا ··

حسرة على شبابك ·· قالتها عجوز وهى تمصمص شفتيها ·

جاء يحمل أوراقه ·· ألقى سؤاله على الجمع الملتف حول الجثه ·· مطوا شـفاههم السـفلى ·· زعق غاضبا : سـين ··

هزوا أكتافهم وأعطوه ظهورهم ، وجد نفسه وحيدا أمام الجثة ، ملأته الحيرة ‥ لف حولهـا ‥ علق الدم المتخـثر بحذائه ‥ وقف ‥ أشـرق وجهــه فجـأه ‥ انفرجت شـفتاه ‥ تحرك سن القلم بسـرعة فوق الورقة البيضـــاء ‥ سين ‥ جيم ‥ سين ‥ جيم ‥ غطى المداد سـطور الورقة ، و ‥ أخيرا انتهت أقوالهم ، وأقفل المحضر فى حينه ، ووقع الشـاهد الأول والثانى والثالث ، ووقع هو أخيرا ، ثم كركع ضـاحكا وهو يدس القلم فى جيبه ، وتأبط أوراقه قبل أن يولى الجثة ظهره ٠

٢٦ / ١٠ / ٩٢

عينـــان زرقـاوان

لفنا الصمت فلم نعد نسمع ســوى وقع أقدامنا فوق أســفلت الطريق ٠٠ لم تنطق شــفتاه الآهه لكن أذناى التقطتها ٠٠ فى عينى غرست عينى ، شــدتنى دوامات الحزن فيهما الى قاعهما ٠

قلت : هانت ٠

قال : ســأســافر ٠

هده الجرى وراء اعــلانات الوظــائف الخالية ، ٠ ولأنى لا أعرف أحدا أتوســط لديه قلت له : ســافر ٠

كنا قد وصلنا الى البنايه المقصودة ٠٠ فى أحضــانه تلقفنا هواء التكييف البارد لما ولجنا الباب الزجــاجى الذى فتح بمجرد اقترابنا منه ٠٠ رطب أبداننا التى شوتها حرارة شــمسنا الحاره ٠٠

الى لافتة صغيرة محشورة بين اللافتات الكثيرة أشــار ٠٠ التقطت عيناى الأحرف المبثوثة فوقها ٠٠ « فايز لبيب غالب »

أمعقول يكون هو ٠٠ فايز لبيب ٠٠ ؟

ربما تشــابه أسماء ٠

وربما يكون هو ٠

ان شــاء الله يكون هو ٠

سألنى : أتعرفه ٠٠ ؟

عن أوصافه ســألته ٠

جاءتنا بكوبين من عصير الليمون ممزوجا بقشره وحبيبات الثلج .. دغدغت البرودة الجسد لما أجتازت رشـــــفة العصير حدود البلعوم ٠

انفرج الباب الذى تعلقت به أعيننــا عن شــابين ٠٠ قــال أحدهما للآخر وهو يدس دفترا صــغيرا ذات غلاف أخضــر فى جيبه ٠

نذهب توا الى مكتب الطيران ٠

دفعنى فضــولى فجريت اليهما ٠٠ ســألتهما : أأخذتمــا التــأشـيرة ٠٠ ؟ أومآ بالايجاب ٠

ـ كم ثمنها ٠٠ ؟

ـ ألفان ٠

اتســعت حدقتا عينى دهشــا ٠٠ قلت :

يا ٠٠٠٠٠ ه

ولجنا الباب الموارب .. طالعنا بقامته الممتلئة وزرقة عينيه . (سبحان الله ، كيف امــتلأ جسمه هكذا ٠٠ ؟ كنــانســميه « عود البوص » ، الا يوســف الذى كان يصر على أن يدعوه بــ القط)

لكن لماذا القط بالذات ٠٠ ؟

ظل الســؤال يؤرقنى ، فرحت أرقب قط الجيران ، الى أن رأيته ذات مرة يقفز من نافذة مطبخهم وبين أنيــابه قطعة لحم نيئه ،

راح ينهشـها فى نهم وهو مغمض العينين ٠٠ فى وجهه غرست عينى ٠

(هو ٠٠ هو بشـحمه ولحمه ، هاهى الشـامة السـوداء أسـفل تفاحة آدم) ٠

سألتنى عينا الولد ٠٠ أتعرفه ؟ ٠

ثم راح يقلبهما بين وجهه المورد وشـعره الأسـود اللامع ، وشـعرى المشـتعل شيبا ووجهى المجعد ، وتتسـع حدقتـا عينيه دهشـا ٠

ضحكت أسـاريرى لما تأكدت أنه هو « فايز لبيب غالب » ، جريت اليه وذراعى مبسوطتان لتأخذاه الى حضنى ، وأنا أصيح بفرح طفولى للقاء عز لسـنوات طوال : أهلا فايز ٠٠ أو حشتنى كثيرا ، ٠٠ يا ٠٠٠٠٠ ه ٠٠ أمعقول هذا بعد كل هذه السنوات ٠

* * *

صـغارا كنا ، تتلمس أقدامنـا الغضه الدروب الضيقه الى الكتاب ، من رقابنا كانت تتدلى المخالى القماش المكدسـه بالكتب والكراريس وأجزاء القرآن وأرغفـة الخبز وأقراص الطعميـة ، وأكفنا مدسـوسـة فى جيوبنا كى لا تتورم من صقيع الصـباح القارص ٠

مد لى يدا بارده ، وعضلات وجهه ظلت جامده ٠

(ربما لم يعرفنى)

قلت اذكره : فى حوارى أبو العلاء لعبنا الكره ، واسـتبقنا بأطواقنا ، وفى الكتاب جمعنا مقعد واحد ، وسـويا انتقلنا الى المدرسة الابتدائية بالشـارع الجديد ٠

ضيق حدقتي عينيه ، خلته ينبش في ذاكرته ٠

قلت أتعجله : أنا عوض الله ٠٠ محمد عوض الله ٠٠ ألا تذكرني ٠٠ ؟ تمتمت شفتاه كأنما يذكر نفسه ٠٠ عوض الله ، عوض الله ٠٠ ؟؟

(كان دائم البكاء ، وكنت دائم التساؤل : من أين له كل هذه الدموع التي تسفحها عيناه ، وهو يشكو لنا قسوة امراة أبيه)

– دائما تضربني ٠

– تحمل يا فايز ٠

لا تبك يا فايز ٠

– وتجوعني ٠

فندعوه ليقاسمنا طعامنا

لا يختلط لعابه باللقيمات التي تطحنها ضروسه ، تنبسط عضلات وجهه ، وتلتمع عيناه الزرقاوان ، عينا يوسف تقولان لعيني لما تتلاقى : هذا الولد لعين وكذاب ٠

لما سرت برودة كفه في كفي قلت : غير معقول يا فايز أن تكون نسيتني ، فبيتانا كانا متقابلين في الحارة التي سكناها معا ، وسويا استذكرنا دروسنا ٠

قال لي ذات مرة ونحن نؤدي امتحانا : الأسئله صعبه ٠

نظرت اليه ، لم أحتمل رؤية الدموع فوق خديه ، بسطت ورقة الأجابة أمامه ٠٠ أكلت عيناه الزرقاوان كل الأحرف ٠ في الكشف الذي الصقوه على باب الفصل جاء ترتيبه الأول ، الولد يوسف قال لي يومها وهو يمضغ غيظه : ستظل عبيطا ٠٠ قلت لفايز وأنا أغرس عيني في الشامة السوداء أسفل تفاحة آدم : أنا

متأكد انك « فايز لبيب غالب » زميل الصبا ، ومتأكد انك تذكرت كل شيء كان بيننا بمجرد أن دخلنا عليك الحجرة ٠

تقلصت عضلات وجهه ، وضاقت حدقتا عينيه ، وارتعشت أهدابها ، تمتمت شفتاه فخرج صوته متهرئا : المهم ٠٠ ما هى طلباتكم ٠ ؟؟

من البعيد أطل على وجه يوسف ٠٠ شقاوة الأطفال مازالت فى عينيه ٠٠ أخرج لى لسانه ، وقهقهت ضحكاته تملأ صوانى الأذنين ٠

سألته : ماذا يضحكك ٠٠ ؟؟

قال : أنسيت ما فعله القط صباح أول يوم فى امتحان آخر السنه ٠٠ ؟ جرت ذاكرتى للوراء ٠٠ قلت له عند عتبة دارنا بعد أن انتهينا من المذاكرة : لا أعرف مكان اللجنة ٠

قال لى : انتظرنى ٠٠ سأمر عليك ٠

لما دقت الساعة معلنة السابعة والنصف أصابنى الفزع ٠٠ الى الحارة جريت ٠٠ بأعلى صوتى زعقت ٠٠ فايز ٠٠ يا فاييييز ٠

– فايز نزل منذ نصف ساعة ٠٠ ألم يمر عليك ٠٠ ؟

سألتنى زوجة أبيه بصوت نصف نائم ٠

استطردت : لقد أكدت عليه ٠

صوب الباب شددت الخطو ٠٠ الصوت المرتعش يبعث طنينه ، يملأ أذنى : المهم ما هى طلباتكم ؟

قبل أن تجتاز قدماى باب مكتبه التفت اليه ٠٠ التقطت عيناى قطعة اللحم النيئة بين أنياب القط القابع عند بئر السلم ٠٠ ينهشها فى نهم ، بعد أن أسدل أجفانه فوق عينيه الزرقاوين ٠

يونيو ١٩٨٦

المحــور الخــامس

دخـــان أزرق

امتلأت سماء الحارة بالزغاريد ٠٠ الفرحة ملأت قلبها ٠٠ شعرت بها تتقافز فلم تحتملهـا ، أحسـت برفيف قلبهـا فأطلقت زغرودة طويلة ٠٠ لضمت الجارات زغاريدهن بزغرودتها فاختلطت وانسجمت ٠٠ ذابت كل زغرودة فى الأخرى فلم تميز واحدة منهن زغرودتها ٠

* * *

لفظنى القطار على الرصيف الكابى .. بضع مقاعد رخامية متناثرة ، ولافتة أسمنتية ضخمة تحمل حروفا بارزة باسم البلدة ، وأحواض زرع مسـتطيلة محاطة بالطوب الأحمر ، وأشـجار قصيرة السيقان ، ٠ وخيط الفجر الأبيض يحـاول النفـاذ من بين ركـام السحب الرمادية ٠٠ دفسـت يدى فى جيوبى مستجديا الدفء ٠٠ لم يكن ثمة أحد على الأرصفة ٠٠ شـقشـقة العصـافير المختبئة بين أوراق الشجر عاليـة ٠٠ مسـتفزة ٠٠ من طاقة صغيرة لكشك المحطة الخشـبى نفذ ضـوء بـاهت ٠٠ شـددت اليه الخطو ٠٠ مسـحتنى عيناه العجوزتان من وراء مكتبه الخشبى القديم ٠٠ تلفه جدران كالحة ٠٠ تتدلى لمبة كهربائية مغبرة من السـقف ٠

ـ السـلام عليكم ٠٠

اشتعل رأسه شيبا وجلد الوجه بلون الحنطه ، رمى الى عينيه ثم راح يبحث عنى فى تلافيف رأسه ٠٠ لم يجد لى أثرا فارتد عائدا ليرد على تحيتى ٠

– وعليكم السلام ٠

الصوت مختلط بكسل من استيقظ توا من النوم ، والكلمتان متوجستان ٠

فاسرعت أسأله : المطحن الآلى ٠٠ ؟

قال : المطحن الآلى ٠٠ ؟

أومأت برأسى ثم أردفت : بيت محمد أبو المعاطى ٠

انبسطت صفحة وجهه فتباعدت تعاريجه وانسابت الكلمات طيعة من بين شفتيه ٠

– يا أهلا ٠٠ يا أهلا ٠

واستدار بكرسيه قائما ٠٠ بدا متوسط القامة ٠٠ تقدم نحوى ٠٠ بقدميه عرج خفيف ، والكلمات مازالت تنفلت من بين شفتيه :

– تعال ٠٠ تعال يا ابنى ٠

وأخذنى تحت جناحيه ٠٠ التقطنا الطوار فلفحنا الهواء ٠٠ تداخل العجوز فى نفسه .. حول ذقنه وجزء من شفتيه أحكم ياقة السترة وأشار الى طريق طويل ، بدا بلا نهاية ، غلفه الضباب ٠٠ اكتست الأشجار القصيرة المصطفة على جانبيه حللا رمادية ٠

ـ المطحن فى نهـاية هـذا الشـارع ، ووراءه مـنزل عمك أبو المعاطى ٠

قبل أن أنفلت اليه سألنى : اسم الكريم ٠٠ ؟

قلت : شـعبان أبو المعاطى ٠

* * *

أصطكت ضلف النوافذ الخشـبية بالجدران ٠٠ أطلت النهود من فتحـات قمصـان النوم الشـفتشى لمـا اتكـأن على قاعدات النوافذ ٠٠ أصخن السـمع ليحددن مصـدر الزغـاريد ، اندلق السـؤال من أحداهن ، فجاءها الرد من آخر الحارة ٠

ـ سناء ابنة أم السعد ٠

ـ ياألف نهار أبيض ٠

وأطلقت زغرودة ٠

* * *

قبل أن تفر زغرودتهـا الأولى من فمهـا ، كانت أم السـعد تتقرفص بجوار زوجها كقطة صغيرة تتمسـح فى سـيقان أمها ، وعيناهـا تتابعـان عينيه الجـاريتين فوق أحرف الرسـالة التى جاءته اليوم ٠

قالت له وهى تنغزه بكوعها : أسـمعنى ٠

وحتى نلتقى صباح الغد لكم قبلاتى ولدك شـعبان

خمسة عشـر عامـا قطيعة ٠٠ كيف ٠٠ ؟ أنا الأكبر ، وكان الواجب على أن أتسـامح ٠

* * *

قلت لأمى : ابنة عمى ٠

خبطت صدرها ، وفنجلت عينيها دهشـــة ، وســألت : ماذا تقول ٠٠ ؟

قلت مصرا : ابنة عمى ٠

قالت : ولكن ٠٠

قلت : ستمهدين لهذا الموضوع عند أبى ٠

قالت مندهشة : أنا ٠٠ ؟ !

قلت : نعم ٠

❋ ❋ ❋

ابتلعتنى الحـــارة ٠٠ زعق بـــائع اللبن ٠٠ قشـــطه ، فزعت العصافير فضربت أجنحتها الصغيرة الهواء ٠٠ ضغطت ذر الكهرباء المثبت بأعلى الجدار جوار باب البيت ٠٠ التقطت اذناى خطوات تهبط الدرج ، بددت رتابة الصمت المنتشـــر ٠٠ بســـط زراعيه ٠٠ اخذنى الى حضـــنه ٠٠ دفســـت وجهى بين رقبتـــه الممتلئـــه ٠٠ وكتفه .. أحسست بالدفء فتبدد منى الخوف الذى ينتابنى فى أول لقاء ..

قال : نورت البلد ٠٠ لو كنا نعرف رقم القطار لا نتظرناك ٠

آثرت أن أملأمنه عينى ٠٠ ســـبحان الله ٠٠ صـــورة طبق الأصل من أبى .. فولة وانقسمت نصفين .. نفس الوجه المكتنز والصلعة والقامة القصيرة والكرش ٠

قلت أهلا بك ٠

قال : بعد أن دفس عجزه بين مسندى المقعد « الفوتيه » : وأبوك كيف حاله وأمك ٠٠ لقد أوحشـــونى جدا

جلســت على طرف المقعد ·· عيناى تدوران فى محجريهما ·· تتلصصــان ·· تبحثان عنهـا ·· اجتازتا البــاب ، واخترقتـا الجدران ·

·· أخيرا دخلت علينـا حاملة صينية الشــاى ·

قالت : حمد الله على الســلامه ·

جلست قبالتى .. الكوب الساخن ظل بين راحتى يدى .. لم تلمسه شفتاى .. تلاقت أعيننا فكساها الخجل .. أحست برفيف قلبها .. خافت أن تهتز أحبال صوتها فتشبثت بالصمت .. تعملق بيننا فصار كابوسا يجثم فوق صدورنا .. مزقه بعمق صوته الدافىء .. أهلا وسهلا ..

نظرت اليها فكسرت أهدابها وراحت تنظر الى حجرها ··

قلت لعمى : الحقيقة أننى جئتك اليوم لطلب يد ســناء ·

كمن لسعها عقرب جرت خارجه من الحجرة ·· اصــطدم كتفها بطرف الباب ·· كست الحيرة وجهه فاتسعت حدقتا عينيه ·

قال : لكن ·· هل أخذت رأى أبيك ·· ؟

ـ طبعـا ·

ـ اذن لماذا لم يأت معك ·· ؟

ـ سيجىء بعد موافقتك ·

ـ لكن انت متأكد أنه موافق ·· ؟

ـ اكيد ·

ـ على خيرة الله ·

❊ ❊ ❊

أحالت لمبات الكهرباء ليل الحارة الى نهار ·· اختلطت الزغاريد بالموسيقى الصاخبة ، وأم العروس فاضية ومشغولة .. انهد حيلها من وقفتها طوال النهار ، فتقرفصت فوق الكنبة لتستريح .. لمحته يهم بالخروج بعد أن ارتدى جلبابه الصوفى ، وطوح كوفيته فوق كتفه ··

قالت له هامسه : أريدك فى أمر هام ··

أمال رأسه الى رأسها ·· صبت فى أذنه كلمتين : اكتب قائمة ·· تساءل مندهشا : قائمة ·· !! ؟ ·

هزت رأسها وقالت : نعم ·· كل الناس تكتب قائمة ·

قال وهو يهم بالخروج : كل الناس ·· ؟ !

فنجلت عينيها ، ورفعت حاجبيها حتى كادا يلامسان منبت شعرها ، وقالت : كل الناس ·

سبقت خطواته نحو الدرج ردها ·· كان قد اجتاز عتبة الباب ·· نزل الدرج ·· هاجمه صوت المغنى الصارخ فى مكبر الصوت وزعيق الصبية ، ودخان المعسل المغلف بالحشيش ، وهو يندس فى زحام المدعوين ·

– مبروك يا أبو المعاطى ·

– ربنا يتمم بخير ·

عقبال اخواتها يارب ·

يرفع يده الى جبهته ، وينزلق بها الى صدره ، وهو يشد الخطو مبتعدا الى المحطة ليستقبل أخاه ··

(كيف سـأسـتقبله بعد هـذه المدة الطويلـة ٠٠ آخذه فى حضنى ٠٠ أم أدسـه فى صـدرى ٠٠ ترى هل سـأعرفه ٠٠ ؟ هل غير الزمان هيئته ؟ ٠٠ هل)

وأخرج من جيبه علبة سـجائره، أخرج واحدة ٠٠ صـوت امرأته يلاحقه : القائمة ٠٠ ؟ كل الناس ٠٠ ؟ نعم كل الناس ٠٠ دسـها بين شـفتيه ٠٠ أشـعلها دون أن تكون له رغبة فى ذلك ٠٠ شفط نفسـا عميقـا ٠٠ أحس بالراحه وهو يتـابع دخانها الأزرق يتبدد فى الهواء ، بينما كانت خطواته تقترب من المحطة .

يوليو ٨٤

بســـمة القمـــر

مصادفة تقابلا ·

بكتل البشر .. بالباعة .. بالمركبات .. بالعربات المكدسة فوقها البضائع ، كاد الشارع يختنق ، رآها فتقافزت الفرحة فى عينيه ·· أن يكبتها جاهد ·· فضحه صوته المتهدج ·

ـ آهلا عايده ·

استراحت الكف فى الكف ·

ـ أهلا مصطفى ·

ـ أخبار بابا وماما و ··

بالراحة أرتوت النفس لما التقطت أذناها دفء الصوت ·

ـ الحلمية كلها بخير ·

(الحلمية .. ؟! يا اااه .. أيام الصبا الحلوة بكل مرحها وانطلاقاتها ·· شارع راتب ، وعلى بك الكبير ، والمدرسة المحمدية ، والبنت الصغيرة الحلوة ·· ابتسامتها ، ضحكتها ، ضفائرها ، شقاوتها ، وصباح الخير ياعايده ·

كنت أقول لها لما كان وجهها يطل على وهى تفتح شيش النافذة لشمس الصباح .

صــباح النور ٠

كانت تقولها وتجرى ٠٠ تحتمى بالجدران ٠٠ تجرى عيناى وراءهــا فتلتقطــان الوجــه الضــاحك من وراء طــاقة الحمــام المستديرة ٠٠ ايبييه ، أيام) ٠

– مصطفى ٠٠ أين ذهبت ٠٠ ؟

– لا ٠٠ أبدا ٠٠

– أكاد أختنق من هذا الزحام ٠

– لنهرب منه ٠

– ٠٠٠٠٠٠

– ألى أين أنت ذاهبه ٠٠ ؟

(أنا هاربة من نفسى ومن البيت ومن كل شىء ٠٠ أن اهيم على وجهى فى بلاد الله الواسعة أبغى ، تحملنى بلاد الى بلاد ٠٠ الف وأدور وأدور حتى أجد نفسى)

– عايده ٠

– ليس لى من هدف محدد ٠

– نذهب الى الفيشـاوى ٠٠ ما رأيك ؟

الى الســماء رفعت عينيها ، تبحث عن طاقة النور التى سمعت أمها تحكى عنها فى ليالى الشــتاء الطويلة لما تطلب منها أن تحكى لها حكايه ٠٠

« وفى ليلة من ليالى الشــهر المفترج وقف وحده ٠٠ عيناه مرشــوقتان فى الســماء ، للبــارىء اتجهت كل جوارحه ٠٠ خطفت طاقة النور التى شــقت السـماء بصره ٠٠ من قلبه التقطت أذناه مناجاته للخالق » ٠٠

ـ عايده ٠٠ ؟

التفتت فأطلت عليها القباب والمآذن السامقه ٠٠ الجامع الأزهر ومحمد أبو الدهب والحسين ٠٠ الدور القديمه ، المشربيات الأرابيسك ، محلات الفطائر ولحم الرأس ومكتبات القرآن

جرت خطواتهما فاحتواهما شوارع خان الخليلى الضيقة ٠٠ المشغولات اليدويه ، رأس نفرتيتى ، مراكب الشمس ٠٠

بالفرحة والرهبة شعرت ٠٠ أن تقفز ، أن تجرى ، أن تطير ، أن تقرأ فاتحة الكتاب أمام ضريح الحسين ٠٠ أن تركع ٠٠ أن تسجد للخالق البارىء ٠٠ أن تبكى وتبكى حتى ترتوى النفس بالراحة وتهدأ ٠٠ تمنت ٠

ميه سبيييل ٠

من عالمها جذبها الصوت المنغم ٠٠ تعثرت خطواتها وهى تنظر الى الوجه الرائق ٠٠ القربة فوق الظهر المحنى دوما ٠٠ تمتد يده لها بالكوز المعدنى اللامع ٠٠ تناولته ٠٠ سرت برودة الماء المزوج بروح الورد فى أجزائها ٠٠ سرت الراحة فى كل كيانها ٠

ـ الله ٠٠ لم أذق أرق من هذا الماء ٠

قبل أن تمتد يده بالقطعة المعدنية له كانت قربة الماء تهتز فوق ظهره وخطواته آخذة فى الابتعاد ، والكلمة المنغومة تخرج من فيه تتمطى فى الفضاء ٠٠ سبيل ٠٠

من عينيها تدحرجت حبات الدمع ، وهما مرشوقتان فى ظهره المحنى دوما ، وساقيه النحيلتين ، وتتمتم الشفتان : مازالت الدنيا بخير ٠٠

التوت الأقدام مع الدروب ·· تلامست أصـابع اليدين ·· تسرى الرعشـة في أوصالها ·

ألح على رأسها بوجهه اللزج ، وصوته الزجاجى : أحبك ·

للحظة يتكدر وجهها ·· همست : وغد ·

أنت أجمل ما فى الوجود ·

حقير ·

سعادتى أجدها بجوارك ·

(كانت آمالى تسـبق خطوى لما كنت أسـير بجواره ، الى القمر أطير لأرشف من ضوئه ، أعود فأجرى نحو النهر ·· تحتضن مياهه قدمى ويدغدغنى رذاذه ، · فاتشـبث بسـاعده ، لكنى فجأة أجد أخرى متشبثة فى نفس السـاعد ، فى أذنيهـا يسـكب نفس الكلمات : سعادتى أجدها بجوارك ·

انتشر رذاذ البصقة فوق أسفلت الطريق ··

ـ لا ·· أكيد هناك شىء غير طبيعى ·

إلى وجهه رفعت عينيها ، ملأت البسـمة صـفحة وجههـا لما تذكرت مقولتها عندما كانت تسترق النظر الى وجهه النحاسى الغامق من وراء خصاص الشيش « رمسيس يطل على رعيته »·

احتواهما المقهى العتيق ·· ينزل الفيشـاوى الكبير من على ظهر فرسه ليسـتقبلهما ·· شـعرت بخفقان قلبها لما كانت عيناها تجولان فى أرجاء المقهى .. أركانه ، ستائره الخرزية ، المقاعد الأرابيسـك ، المناضد ، صوانى الشـاى النحاسـية ، النراجيل ·

الصمت يغشى المكان فيزيده رهبه ··

أراد أن يتسرّى عنها ، فقال : لو جئت إلى هنا فى رمضان ما استطعت أن تفوزى بمكان لإحدى قدميك ·· تصورى ·· كل الناس تكون هنا ·· شعراء وكتاب قصة وروائيون وأدباء ومهنيون وحرفيون ·· إحتوتهما احدى الغرف ·· فوق قرص المنضدة المحلى بالخزف استراحت الأذرع ··

ـ ماذا تطلبين ·

ـ شاى أخضر ·

فى بعضها غرقت الأعين ·· كل راح يبحث عن صاحبه فى قيعانها ·· طال أمد الصمت ·· قطعته بقولها :

ـ كلمنى عن نفسك يا مصطفى ·

ـ أنا ·· ؟ ! مجرد واحد يأكل ويشرب وينام ·

(نفس معاناتى ·· ولكن لماذا ·· ؟ هل غررت به واحدة أيضا ؟)

ـ واحد ·· ؟ ! ولماذا لم تقل انسان ·· ؟

ـ انسان ؟ ليس تماما ·

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أفتقد قلبى ، فلا أجد ذاتى ·

ـ ······

ـ وماذا عنك ·· ؟

ـ ······

ـ أتذكرين يوم أن قابلتك ذات مرة وأنت عائدة من المدرسة ، عند سور الخديوية ، قلت لى يومها والقلق باد على وجهك :

شعورى بالاغتراب يتضخم كل يوم بداخلى ٠

اربد وجهى منزعجا ٠٠ أن يكون شعورا سرطانيا يتفتت خلاياه بين جيلنا خفت ٠

- ٠٠٠٠٠٠

- هل سأظل أتكلم وحدى ٠٠ ؟

- ٠٠٠٠٠٠

- فيم تفكرين ٠٠ ؟

- فى انسانيتى ٠

- عظيم أنك تحبين ٠

- أحب ٠٠ ؟ !!

أجمل ما فى الوجود أن يجد الانسان قلبه ٠٠ أن يلتقى روحان ٠٠ لينصهرا ويتحدا فيصيران روحا واحدة فى جسدين ٠

(كنت أظن أننا صرنا كذلك)

زفرت ألما

- عايده ٠

أحسست بلمس أصابعه لأصابعها فجاءت من البعيد ٠٠

قالت : حتى هذه اللحظة كنت أظن أننى انسانة .

- ٠٠٠٠٠٠

- لكن يبدو أننى كنت مخطئة ، فروحى لم تنصهر فى روح أخرى ٠

- ٠٠٠٠٠٠٠

ـ يا خســاره ٠

ـ لا ٠٠ اننى أحســدك على ألمك ، على مجرد احســاســك بأن روحك الثانية ســوف تأتى فهذا عظيم فى حد ذاته ٠

ـ ربما كنت سأشعر بالســعادة لو كنت أخبرتنى بأنك عثرت على روحك الثانية بعد طول انتظار ٠

ـ هذا النبل لا يكون الا لانســان رائع ٠

ـ أخجلتم تواضعنــا ٠

لم يخف الضحك الحزن النائم فى عينيها ٠

ـ لماذا تنظر الى هكذا ٠٠ ؟

ـ كأنى أراك لأول مرة ٠

زوت ما بين الحاجبين حتى كادا أن يتلامسا ، ٠

ملت الشمس رحلتها الأبدية ٠٠ أنهكها الدوران فأرادت أن تســتريح ، ٠٠ ارتدى القرص الواهن ثوبه الرمادى فغام الضوء ٠

أردف قائلا : ابتعدنا ما فيه الكفايه ٠٠ أليس كذلك ٠٠ ؟

ـ نعم ٠

ـ سأراك ثانية ٠٠ ؟

ـ لنبحث ســويا عن أنفســنا ٠

ـ وقد بدأنا خطوتنا الأولى ٠

ـ خطواتنا الأولى ؟

ضحكت ٠٠ ضحك ٠

مدت له يدهـا ·· تعثرت خطواتهـا المتوغلـة فى شـــارع بور ســعيد ، فميدان باب الخلق وهى تسترجع كل كلامه ·

تدب خطواته مخترقة ميدان العتبه الى شــارع الجيش ·· الراحة مبسوطة على صفحة وجهه ، والقمر ينثر ضوءه فيبدد ظلمة السـماء الداكنة ·

·· يونيو ٨٤

النـــــداء

لمدة طويلة بدا له أن كل شيء ثابت لا يتغـير فى عـالمه الصغير ٠٠ الجامع ٠٠ الصحن ٠٠ المحراب ، المنبر ، الميضأة ، القباب ، المئذنة ٠٠ الأروقه ، الأعمده ٠٠ المقرنصـات ، الى أن دهم الشيب شعر رأسـه ، وجف ماء عوده السـمهرى وانزوى بريق عينيه ، وسـرت الآلام فى مفاصله ٠

كان فى الزمن الفائت يركب مهر فتوته وشـبابه ليجول بين أرجاء الجامع ، يتشمم عطر شـيوخه ومعلميه وطلبة العلم الذين جاءوا من شتى بقاع الأرض ٠٠

يأنس بالأركان والأعمدة المتناثرة فى أبهاء الجامع والصحن ٠٠ هنا كان يجلس الامـام ينثر درره على تلاميذه ، وهنـا كان يقبع الشيخ يتحدث الى مريديه ، وهنا وهنا وهنا ٠٠

كل شيء انزوى ٠٠ صـار تاريخا الا صوته ٠٠ ظل قويا ٠٠ جميلا ٠٠ رائقا ٠٠ يتدفق حلاوة وعذوبة مع كل لفظة فى الآذان ٠٠ حى على الصلاه ، حى على الفلاح ٠

ينفض المصلون بعد أداء الفريضة٠٠ يخلو البهو الواسـع عليه ، فتترقرق عيناه بالدموع ٠٠ تشـق لها أنهارا فى شـقوق جلد الوجه المقدد ٠٠ يعود بذاكرته للوراء ٠٠ أبدا لم يكن يخـلو

هكذا ، حتى بعد أن ينصرف طلبة العلم ، يتدفق سيل المريدين ٠٠ يصطفون قعودا أمام الشيوخ ٠٠ يسمعون منهم الدروس ، ويتعلمون ٠٠ وتأخذه الذاكرة الى الوراء أكثر ، ليتجسد ذلك اليوم أمام عينيه ٠٠ يوم أن داهم المرض المؤذن فدفعه شيخه ليقوم بالآذان ٠٠ ارتعش وجلا قبل أن يحاذى باطن كفه الأيمن أذنه، ويطلق لحنجرته العنان : الله اكبر الله اكبر ٠

بسم الله لا قوة الا بالله ٠٠ لهجت بها ألسنة السائرين حول الجامع والشوارع المحيطة والجالسين والواقفين فى الأروقة والصحن لما دغدغت حلاوة الصوت اذانهم ، ثم هرولوا الى قلب الجامع ليعيشوا لحظات الصفاء الروحى فى معيته ٠٠ الكل يصطف وراءه ٠٠ وجوه وردية نضرة وأخرى يابسة ٠٠ ذابلة ٠٠ حفرت السنون فيها وديانا وأخاديد ٠٠ أجساد قوية عفية كأعواد الزان ، وأخرى هزيلة كأعواد البوص ٠٠

تنعقد الأذرع فوق الصدور ، والأعين تتجه نحو مواطن السجود ٠

يتبدل المصلون وراءه ويتغيرون ، تذهب صفوف وتجىء صفوف ٠٠ تكثر فيمتلىء بهم بهو الجامع والصحن ، وتنقص فتعد على أصابع اليد الواحده ٠٠ الا هو ٠٠ يقف أمام المصلين فى مواجهة المحراب بقده السمهرى ووجهه الحنطى وشعره الأسود الأكرد ٠٠ سنوات وسنوات وهو هو فى مكانه ٠٠ أمام المصلين وفى مواجهة المحراب ٠٠ ألفه المصلون ، فصاروا يتوقعون رؤيته فى كل مرة يجيئون فيها الى الجامع ٠٠ صار جزءا منه ٠٠ تقع عليه أعينهم فيحسون برفرفة قلوبهم ، حتى بعد أن سقاه الزمن من مرارة

كأســه ، فتوج شــعره المشــيب ، وأحنى الظهر ، وجفف القد ، وجعد الوجه ·· لكن الصــوت القوى الجميل كان مختبئـا فى تجاويف الحنجره ، فلم يطلهـا الوهن ·· فبقى للصــوت حلاوته وقوته ·· يعلو فيجلجل فى الفضــاء حى على الصــلاة ، حى على الفلاح ، ويتســرب الى الآذان ويستكن فى القلوب ، وتلهج الألسنة : بســم الله لا قوة الا بــالله ،ثم يهرول الكل الى الجــامع ، لتتكون الصــفوف وراءه وتتكاثر ، وتنفض ، وتصطف وتتكاثر وتنفض ·

سبتمبر ٩٣

الفــــنى

أغلق الباب أو أفتحه سيان ، فصياحهما يخترق كل الحجب ·· الجدران والأبواب والأغطية التى أكومها فوق رأسى ·

أخخخ ·· مطارق تدق رأسى ، وأكيـــاس الرمـل تحشـو أجفانى ·· تأبى النوم فرحت أزاول رقصة الموت ·· وبعد ·· ؟

أطحت بالوسـائد والأغطية بعيدا ·· أنفلت الى الشوارع هربا ·· أترك لسـاقى العنان ·· أظل ألف وألف ·· الحسـين وخان الخليلى والنحاسين ·· العتبه ، القلعة ، سـوق السلاح ·· السـيدة ، زين العـابدين ·· كل الدروب مسـحتهـا قدمـاى ·· لم أترك مقهى ·· الشـاى الأسـود المغلى هرى مصارينى الفارغة من الطعام ، ودخان المعسل ملأ قفص صدرى فتحشرجت أنفاسى ··

توالت الأفكار فى رأسى .. تراكمت .. بهتت .. تكر الأيام وراء بعضها ·· أحاول أن استعيدها ·· تخيب محاولاتى ·· تومض أخرى ، تبهت ·· تهرب ··

لم تعد قدماى تحملاننى ·· تعبت ·· لمحت عربة أجرة من البعيد ·· عابدين يا اسطى ·

نظر السـائق الى وجهى المكدود ·· اسـتراف بحـالى ·· أنزلنى على باب الحارة ·· جرجرت الخطو ·· متهـالكا القيت بجسـدى على حرف الكنبة ··

ـ يالهوى ·· مالك يا أخويا ·· ؟

ـ أبدا ·

ـ شكلك تعبان ولونك مخطوف ·· !

ـ ·······

ـ اما أجيب لك ميه سخنه وملح تحط فيهم رجلك ·

ـ خدى الباب وراكى ·

حجبها الباب ·· تمددت ·

احدف الكوره ·

هه ··

لأ ·· احدف قوى ·

واقع ·· واقع ··

ياولاد العبوا بشويش ·· بابا تعبان ·· ماتزعقوش ·· ما ··

لأ مش واقع ··

ـ خلاص مش حا العب ·

ـ طيب هاتى الكورة ·

ـ لأ ·

ـ طب وأنا حاخد عروستك ·

كفاية بقى ياأولاد ·· كفايه ·

أأخ يا راسى ·· لو أستأجر حجرة ألوذ اليها ولو لبضع ساعات ، أو لو كانت هناك حجرة فى الشقه ·· حجرة واحدة لنا وصالة ينام فيها الأولاد ليلا وتكون على الشاع نهارا ·· مشكلة ·· ماذا أفعل ·· ؟ أين أذهب ·· ؟

الشـــارع ٠٠ الشـــوارع هى الصدر الحنون الذى يحتوينى ٠

آآآآ ٠٠ اهىء اهىء ٠

أدارت الأكره ٠٠ اندفعت نحوى ٠٠ مفزوعا نظرت الجســد المتعب ٠٠ شلالات الدموع تنهمر على خديها ، استحال بياض عينيها الى أنهار من الشـــعيرات الدموية ٠

ــ ايه ٠٠ ما لك ٠٠ ؟

ــ ميدو ضربنى ٠

فى غيظ جذبتها من ذراعها ٠٠ زعقت مناديا عليه ٠٠ تعالى يازفت ٠

وقف قبالتى ٠٠ ســـلط عينيه على وجهى ٠٠ زعقت فيه متســـائلا :

ــ ضربت أختك ليه ٠٠ ؟

ــ هيه ضربتنى الأول ٠

ــ لازم تســـتحملها ٠٠ انت الكبير ٠

ــ لأ بقى ٠٠ مشكل حاجه انت الـ ٠

ــ ايه ٠٠ انت بترد على ياكلب ٠٠ ؟

وامتدت يدى ٠٠ صفعته ٠

وضع كفه على خده ٠٠ غرس عينيه فى عينى ٠٠ أحســـست برعشة ٠٠ بشىء يرتج فى كيـــانى ٠٠

أحس أن دموعه ستغلبه فجرى مبتعدا ٠٠ خرقت نهنهـــاته قلبى ٠٠

راحت عيناى تسافران بين كفى والبنت .. احتضنت عروستها وجرت اليه ·

حقك على ياميدو ·· خد العروسه أهيه ، وخد الكورة كمان ، بس ما تزعلش ·

قال فى حدة : مش عاوز حاجه ·· هه ·

فى لحظة أفقد السيطرة على نفسى ·· ينفلت منى زمامها ، فأفعل ما أندم عليه ·· أضرب كف اليسرى بقبضة اليمنى ناظرا الى اللاشىء ·· أن أهرب الى القراءة حاولت ·· اختلطت دموع الولد بأحرف الكلمات ·· صارت بقعا سوداء ·

جاءتنى بكوب الشاى ·· سألتنى فى أسى : ليه كده ·· ؟

ـ أعصابى تعبت ·

ـ تقوم تضربه ·· ؟

قلت فى حده : أنا مش ناقص ·

ربتت على كتفى وهى تستطرد : قوم نام لك شويه ·

ـ ابقى اديهم مصروفهم الصبح ·· مش عاوز أشوف حد فيهم ·

ـ انت أعصابك تعبانة ·· أنا حاخد الأولاد ونسافر البلد نقعد اسبوعين أو ثلاثه ·

وكأنى وجدت منفذا لأنقذ رقبتى من حبل المشنقة ، صحت فرحا : مدهش ·

❊ ❊ ❊

رشـيقا خفيفـا رحت أعدو ، بالرغم من شـدة الزحـام ، وحفر الطريق ، وقيظ يوليو شـعرت أنى أطير ٠٠ سـوف التهم الكتب التى غطتها الأتربه، واكتب كل الأفكار التى أجلت كتابتها ٠٠ ادرت المفتـاح ٠٠ شـدنى السـكون الى أحضـانه ٠٠ بسـرعة ازدردت بعض اللقيمات ٠٠ كانت الورقة التى ظلت بيضاء لأسابيع طويلة منطرحة فوق سـطح المائدة ٠٠ جئت بكوب الشـاى ٠٠

سن القلم مرتكز على طرف الورقة الأيمن ٠٠ حطت ذبـابة على أنفى ٠٠ غرسـت مخالبهـا الأبرية فى جلدى ٠٠ آلمتنى ٠٠ قرفتنى ٠٠

هش ش ش ٠

حومت حول رأسى ثم عادت لمكانها فوق أنفى ٠٠ بكل غيظى ضربت الهواء ٠٠ مازال سن القلم مرتكزا فوق ركن الورقة الأيمن ٠٠ صرير صرصـار لا أعرف مصـدره يهاجم رأسى ٠٠ يبعثر أشلائى على طول الشـقة الضيقة وعرضـها ٠٠ اسبوعان أو ثلاثة حتى ترجع زوجتى وأولادى ٠٠ سـتهاجمهم رائحتى العفنة ٠٠ طوابير النمل تنقل أجزائى الى جحورها ٠٠

حاصرنى الخوف ٠٠ رميت القلم ٠٠ أضأت كل الأنوار ٠٠ مرة ثانية وجدت نفسى فى المطبخ أعمل شـايا ٠٠ شـفطت بقين ٠٠ تنـاولت القلم ٠٠ شفطت ثمـالة الشـاى ٠٠ أعصـر ذهنى ٠٠ استحلبت التفل ٠٠ أحطت رأسى بكفى اليسـرى ٠٠ جاست عيناى فوق الجدران ٠٠ أكلت الرطوبة أغلفتها الزيتية ٠٠ تسـاقطت ٠٠ أطلت الطبقة الجيرية الصـماء ٠٠ ارتدت عينى الى المنضـدة ٠٠ الورقة المنطرحة مازالت بيضـاء من غير سـوء ٠٠ الصـمت رعب ينشـب مخالبه فى صـدرى ٠٠ استنجد بالمذياع ٠٠ انداح صوت خشن منه ٠٠ أزاح الصمت ٠٠ فتحت شـيش النافذة ٠٠ السماء

غائمة ، ونجوم شـاحبة تحوم حول القمر ، وأصـوات صبية يلعبون الكرة ، ونداءات باعـة جـائلين ، والفكرة تلـح على رأسـى ، لكن الكلمات تأبت ٠

خمسة أيام وحماده ولمياء بعيدان ، والكتب مرصوصة يغطيها التراب ، وسن القلم لم يتزحزح من طرف الورقة الأيمن ٠

هيه يه يه يه ٠٠ جون جون ٠

لأ آوت ٠٠ آوت ٠

بس ياولد ٠٠ بس يابنت ٠

انفلتت صرخاتى لتزيح الصمت الجاثم فوق صـدر الشـقة ، لكن أصواتهم الرفيعه تنفذ من النـافذه الى أذنى مباشرة ٠

جون والله .. جون ..

وبعدين ، وبعدين ٠٠ ؟ قمت لأرش وجهى بالماء ، نظرت فى المرآة .. الشعر مهوش والعينان منتفخان والوجه مكدود ، وشعر اللحيه القصير دبابيس ابرية ٠٠ تحسستها بحزن ٠٠ وخلف الصورة ظهرت أرجاء الشـقه الغارقة فى الصـمت ، والقلم ممدد بجوار الورقة البيضاء ، ومن الاطار انفلتت ضحكة الطفلين مجلجلة ٠٠ أزاحت صرير الصمت الكئيب ٠٠ ومضت الكلمة الشاردة فجأة ٠٠ جريت الى القلم ٠٠ تقافز فوق الأسـطر : « على عجـل ارتدى ملابسه ٠٠ صفق الباب وراءه ٠٠ تقافزت خطواته فوق اسـفلت الطريق الى مكتب التلغراف ٠٠ توجس خيفة ٠٠ دق قلبه بعنف ٠٠ هدات خطواته ٠٠ أرسل عينيه ٠٠ التقطتا ضوء اللافتة الصغيرة ٠٠ تواثب قلبه ٠

٨ مايو ٩٢

صــدر للمؤلف

الهاموش : قصص ـ ١٩٨٥ ـ على نفقته الخاصه

أنا الموقع ادناه : قصص ـ ١٩٨٨ ـ المركز القومى للفنون والآداب

بين النهر والجبل : رواية ـ ١٩٩١ ـ هيئة الكتاب

خور رحمة : قصص ـ ١٩٩٤ ـ هيئة قصور الثقافه ـ أصــوات أدبية

تحت الطبع :

دوامات الشمال : رواية

أيام قبل السـد : مســرحية ـ بالاشــتراك مع محمد الماوردى

الفهـــرس

الاهــــداء	٥
المحور الأول	٧
الآتى من بعيد	٩
القطــــار	١٩
المحور الثانى	٢٧
متوالية	٢٩
ثنائية الفرح والبكاء	٣٧
المحور الثالث	٤٣
والعيـــــال	٤٥
لا مفـــر	٤٩
الجـــدران	٥٧
الزلزال	٧١
زينة الدنيــا	٧٧

المحور الرابع ٨٩
ثم مـــاذا ٩١
البلياتشــــو ٩٩
ســـهرة ١٠٧
ســـوق الـــكبار ١١٧
الـــكوبرى ١٢١
اراجوزات ١٢٧
وتمت أقوالهم ١٣٣
عينان زرقاوان ١٣٧
المحور الخامس ١٤٥
دخـــان أزرق ١٤٧
بســـمة القمر ١٥٧
النـــداء ١٦٧
الضـــنى ١٧٣
صدر للؤلمف ١٨١

رقم الايداع ١٩٩٥/٥٦٢٦

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 4463 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب